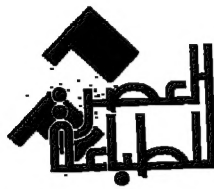


كَيْفَ تَحَقِّقُ
غِنَى النَّفْسِ
وَسِعَةَ الرِّزْقِ

بقلم
سَعِيدُ عَبْدِ الْعَظِيمِ
مُفَرِّغُ الْقُلُوبِ وَنُورُ الْحَيَاتِ

دار الأمل
الطبع والنشر والوزن
١٤١٧ هـ



هاتف : ٢٩٨٤٣٧٥
فاكس : ٢٤٣٣٢٤٩
محمول ٠١٠ ١٩٠٠٠٣٨٢

كَيْفَ يَحَقُّقُ
غِنَى النَّفْسِ
وَسِعَةَ الرِّزْقِ

بسم الله الرحمن الرحيم



حقوق الطبع محفوظة



المقدمة :

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمد عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١٠٢) ﴿ (١)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (١) ﴿ (٢)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (٧١) ﴿ (٣)

وبعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار ، حب الدنيا رأس كل خطيئة والمال فيها داء كبير ، ومن شر ما يتلى به العبد حرص فاجع ، وشح هالع ، مما جعل الناس يسفكون دماءهم ، ويقطعون أرحامهم ، ويتركون طاعة ربهم ، وقد صارت المادية صبغة الحياة المعاصرة ، مما جعل الكثرة لا تبالى بما حرم الله فى سبيل مجارة العرف وتلبية مطالب النفس

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٢ .

(٢) سورة النساء الآية ١١ .

(٣) سورة الأحزاب الآتين ٧٠ ، ٧١ .

والأهل والولد ، فهذا يغش ويزنى ويسرق ويرابى ويرتشى ، والثانى لا مانع عنده من بيع الخمر والعمل فى ملهى ومرقص ليلى ، والثالث لا يجد سبيلاً إلا السفر لأمريكا وكندا ... فيبيع الخنزير ويقدم الخمر وقد يوالى الكفار على كفرهم ، أى أنه يجعل دينه قرباناً ومطية لديناه ، والرابع لا مانع عنده من العمل بالبنفاق والخداع والسياسات الميكافيلية لنيل المناصب والرتب ، فالحلال عنده ما وقع فى يده ، والحرام ما تباعد عنه ، والخامس ، يواصل الليل بالنهار للنجاح فى الامتحان أو للعمل والكسب ، حتى وإن أذاه ذلك لترك الصلاة وغيرها من معانى الدين ... وهذا وذاك له تبريرات وتأويلات ، وقديماً قالوا : ما عصى الله إلا بالتأويل ، فما يحدث تقديم للدنيا على الدين وبيع للآخرة بثمن بخس دراهم معدودة ، بل قل : مثل هذا يبيع دينه ودنياه فى آن واحد ، فهى لذة ساعة - إن حدثت - وألم دهر .

نرفع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرفعُ
فطوبى لعبداً أثر الله ربه وجاد بدنياه لما يتوقعُ

بل صار البعض يقنن ويضرب الأمثال لهذا الضياع والحضيض ، الذى وصلنا إليه مثال قولهم : « عيب الرجل جيبه - ساعة لقلبك وساعة لربك - ارشوا تشفوا - الحياء فى الرجال يورث الفقر ...!! » لقد صرنا نحرس على ما ندمر به دنيانا وأخرانا ، كمن يحرس على اقتناء حبة تلدغه وتميته ، والأمر أخطر وأشد إذا ما ضاع الدين ، أو حالت الدنيا يزخرفها وزيتها دون طاعة الله .
فمن كعب بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [ما ذئبان جالعان أرسلا فى غنم بأفسد لهما من حرص المرء على المال والشرف لدينه] ^(١) .

(١) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

والشرف هنا بمعنى الجاه والرياسة ، فالحرص على المال والجاه يفسد الدين ويضيعه ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية : قال الجنيد : لا يكون العبد عبداً حتى يكون مما سوى الله تعالى حراً ، وهذا مطابق لحديث : [تعس عبد الدينار] ^(١) ، فإنه لا يكون عبداً لله خالصاً مخلصاً دينه لله كله حتى لا يكون عبداً لما سواه ، ولا فيه شعبة ولا أدنى جزء من عبودية ما سوى الله ، فإذا كان يرضيه ويسخطه غير الله فهو عبد لذلك الغير ، ففيه من الشرك بقدر محبته وعبادته لذلك الغير زيادة .

قال الفضيل بن عياض : والله ما صدق الله في عبوديته من لأحد من المخلوقين عليه ربانية .

وقال زيد بن عمرو بن نفيل :

أرباً واحداً أم ألف رب أدين إذا انقسمت الأمور ؟

روى الإمام أحمد والترمذي والطبراني من حديث أسماء بنت عميس قالت : قال رسول الله ﷺ : [بنس العبد عبد تخيل واختال ، ونسى الكبير المتعال ، بنس العبد عبد تجر واعتدى ونسى الجبار الأعلى ، بنس العبد عبد سهى ولهى ونسى المقابر والبلى ، بنس العبد عبد بغى واعتدى ونسى المبدأ والمنتهى ، بنس العبد عبد يختل ^(٢) الدنيا بالدين ، بنس العبد عبد يختل ^(٣) الدين بالشبهات ، بنس العبد عبد رغب ^(٤) يذله ويزيله عن الحق ، بنس العبد عبد طمع يقوده ، بنس العبد عبد هوى يضلّه] .

قال الترمذي غريب ، وفي الحديث الصحيح المتقدم ما يقويه والله أعلم ،

(٢) يطلب ويصطاد .

(٤) مرغوب مطلوب .

(١) رواه البخارى .

(٣) تخذع .

وكذلك أحاديث وآثار كثيرة رويت فى معنى ذلك ، كما قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ (١) .

وطالب الرئاسة - ولو بالباطل - ترضيه الكلمة التى فيها تعظيمه ، وإن كانت باطلاً ، وتغضبه الكلمة التى فيها ذمه وإن كانت حقاً ، والمؤمن ترضيه كلمة الحق له وعليه وتغضبه كلمة الباطل له وعليه لأن الله تعالى يحب الحق والصدق والعدل ويبغض الكذب والظلم أ . هـ .

أقل شىء فى الدنيا يكفيك ، وإن أردت سعة الرزق فاعلم أن الأمر لا يحتمل هجران الدين وترك الطاعة ، وإضاعة النفس ، فمن أراد الدنيا فعليه بطاعة الله ، ومن أراد الآخرة أيضاً عليه بطاعة الله ، وفى الحديث : [ليس الغنى عن كثرة العرض ، ولكن الغنى غنى النفس] (٢) .

ولتحقيق غنى النفس وسعة الرزق ، كانت هذه الرسالة المختصرة فتدبرها ، والله يهذى من يشاء إلى صراط المستقيم .

وَأَخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

كتبه

سعيد عبد العظيم

غفر الله له

(١) سورة البقرة الآية ١٦٥ .

(٢) متفق عليه ، ومعنى العرض : أى اللال .

بعض أسباب سعة الرزق

أولاً : تقوى الله تعالى :

قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ ^(١) ، أى من يتقه فى امثال أوامره واجتناب نواهيه يسهل عليه أمره فى الدنيا والآخرة ، وقال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ ^(٢) ، وهى حياة الرضى والقناعة .

وقال سبحانه : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ ^(٣) ويرزقه من حيث لا يحتسب ^(٤) ، أى من يتق عذاب الله بامتنال أوامره واجتناب نواهيه والوقوف على حدوده التى حدها لعباده وعدم مجاوزتها يجعل له مخرجاً مما وقع فيه من الشدائد والحزن ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ ، أى من وجه لا يخطر بباله ولا يكون فى حسابه ، قال أبو العالية : مخرجاً من كل شىء ضاق على الناس ، وورد عن ابن عباس قال : ينجيه من كل كرب فى الدنيا والآخرة ^(٥) .

وعن جابر قال : نزلت هذه الآية ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ ، فى رجل من أشجع كان فقيراً ضعيف ذات اليد كثير العيال ، فأتى رسول الله ﷺ ، فقال : اتق الله واصبر ، فلم يلبث إلا يسيراً حتى جاء ابن له بغنم كان العدو أصابوه ، فأتى رسول الله ﷺ ، فسأله عنها وأخبره خبرها ، فقال : كُلْهَا ، فنزلت : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ ﴾ ^(٥) .

(٢) سورة النحل الآية ٩٧ .

(٤) أخرجه ابن المنذر وابن أبى حاتم .

(١) سورة الطلاق الآية ٤ .

(٣) سورة الطلاق الآيات ٢ ، ٣ .

(٥) صححه الحاكم وضعفه اللهمى .

وعن ابن عباس قال : جاء عوف بن مالك الأشجعي إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إن ابني أسره العدو وجزعت أمه ، فما تأمرني ؟ قال : أملك وإياها أن تستكثرا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله ، فقالت المرأة : نعم ما أملك ، فجعلنا يكثران منها ، فتغفل عنه العدو ، فاستاق غنمهم فجاء بها إلى أبيه ، فتزلت ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ (٢) ﴿ (١) قال الشوكاني : وفي الباب روايات تشهد لهذا ، وعن عائشة في الآية قالت : يكفيه هم الدنيا وغمها (٢) .

وعن أبي ذر قال : [جعل رسول الله ﷺ يتلو هذه الآية ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (٣) فجعل يرددها حتى نعتت ، ثم قال : يا أبا ذر لو أن الناس كلهم أخذوا بها لكفتهم [(٤) ، وكتب رجل إلى أخ له يقول : أوصيك بتقوى الله فإنها من أكرم ما أسررت وأزين ما أظهرت ، وأفضل ما ادخرت ، أعانتنا الله وإياك عليها وأوجب لنا ولك ثوابها . وكتب آخر يقول : أوصيك وأنفسنا بالتقوى ، فإنها خير زاد الآخرة والأولى ، واجعلها إلى كل خير سبيلا ، ومن كل شر مهربك ، فقد تكفل الله عز وجل لأهلها بالنجاة مما يحذرون والرزق من حيث لا يحسبون .

وقال رجل ليونس بن عبيد : أوصني فقال : أوصيك بتقوى الله والإحسان ، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .
وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنْ

(١) أخرجه ابن مردويه .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم .

(٣) سورة الطلاق الآيات ٢ ، ٣ .

(٤) أخرجه أحمد وصححه والبيهقي وابن مردويه وأبو نعيم .

السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴿١﴾
 والتقوى هي الإيمان والهدى والبر والعلم النافع والعمل الصالح، وأساسها
 أن يعلم العبد ما يتقى ثم يتقى، وأصل التقوى العمل بالواجبات وترك المحرمات،
 فإذا التزم العبد المستحبات وترك المكروهات فقد تمت تقواه لله تعالى .

والتقوى أيضاً كما قال طلق بن حبيب : أن تعمل بطاعة الله على نور من
 الله ترجو ثواب الله ، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله .
 وعن أبي الدرداء قال : تمام التقوى أن يتقى الله العبد حتى يتقيه من مثقال
 ذرة ، وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراماً يكون حجاباً
 بينه وبين الحرام .

فلا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع مالا بأس به حذراً مما به
 بأس ، ومن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، وقد ورد في الحديث :
 [اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق
 حسن] (٢) .

ثانياً : شكر الله تعالى :

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ (٧) ﴿٣﴾ ، فعلق سبحانه المزيد بالشكر ، والمزيد منه لا نهاية
 له ، كما لا نهاية لشكره ، وقد أطلق سبحانه جزاء الشكر فقال : ﴿ وَسَيَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾ (٤) ، وقال : ﴿ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ (٥) .

(١) سورة الأعراف الآية ٩٦ .

(٢) رواه الترمذى وقال : حديث حسن .

(٣) سورة إبراهيم الآية ٧ .

(٤) سورة آل عمران الآية ٤٥ .

(٥) سورة آل عمران الآية ٤٤ .

قال عمر بن عبد العزيز : قيدوا نعم الله بشكر الله ، فالشكر قيد النعم ، وسبب المزيد .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال لرجل من همدان : إن النعمة موصولة بالشكر ، والشكر يتعلق بالمزيد ، وهما مقرونان في قرن ، فلن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد ^(١) .

وعن سفيان في قوله تعالى : ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ^(٢) ، قال : يسبغ عليهم النعم ويمنعهم الشكر ، وقال البعض : كلما أحدثوا ذنباً أحدث لهم نعمة .

واعلم أن الإيمان نصفه صبر ونصفه شكر ، والشكر يتعلق بالقلب واللسان والجوارح وهو يدور على الاعتراف بالنعمة والإقرار بها بقلبه ، والتحدث بها ظاهراً ، والاستعانة بها على طاعة الله ، فإذا حدثت نعمة أو اندفعت نقمة ، فاسجد لله تعالى شاكراً ، ومن قال : الحمد لله فقد أبلغ .

قال الحسن : ما أنعم الله على عبد نعمة فقال : الحمد لله . إلا كان ما أعطى أكثر مما أخذ وإذا وجدت ما تحب فقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وإذا وجدت ما تكره فقل : الحمد لله على كل حال .

ثالثاً : بر الوالدين وصلة الأرحام :

عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : [من بر والديه طوبى له زاد الله في عمره] ^(٣) ، وعن سلمان الفارسي قال : قال رسول الله ﷺ : [لا يرد القضاء إلا بالدعاء ولا يزيد العمر إلا بالبر] ^(٤) .

(١) رواه ابن أبي الدنيا . (٢) سورة القلم الآية ٤٤ .

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ، وأبو يعلى والطبراني والحاكم .

(٤) أخرجه الترمذي وقال : حسن غريب .

وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : [من سره أن يمد له في عمره ويزاد له في رزقه فليبر والديه وليصل رحمه] ^(١) .

وقد ذكر البعض : أن بر الوالدين شكر الله تعالى لأنه سبحانه قال : ﴿ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ ^(٢) ، فإذا برهما فقد شكرهما ، ومن شكرهما فقد شكر الله ، والشكر من العبد سبب المزيد من الله ، وذلك لقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ ^(٣) ، ولن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد .

والزيادة الواردة في النصوص « ويزاد في رزقه » هي على حقيقتها ، وذلك بالنسبة لعلم الملك الموكل بالعمر والرزق ، وقيل : هي كناية عن البركة أو بقاء الذكر الجميل ، وقيل غير ذلك ، والله تعالى أعلم .

فاحرص على بر الوالدين وصلة الأرحام ، فما بعد البر إلا التقوى ، وأدناه اظهار الضيق والضعف والرحم موصلة بالعرش تقول : من وصلني وصلته ، ومن قطعني قطعته ، واعلم أن الرحم الكافرة توصل من المال ونحوه ، وليس من الإحسان ولا من المصاحبة بالمعروف أن يموت الوالدان جوعاً والولد موسر ، قال تعالى : ﴿ وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ ^(٤) ، وقال : ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ ^(٥) ، وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنهما : أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال : إن لى مالاً وإن والدى يحتاج إلى مالى ؟ قال :

(١) رواه أحمد وأبو يعقوب بسند رجاله الصحيح وأصله في الصحيحين .

(٢) سورة لقمان الآية ١٤ .

(٣) سورة إبراهيم الآية ٧ .

(٤) سورة لقمان الآية ١٥ .

(٥) سورة الإسراء الآية ٢٣ .

[أنت ومالك لوالدك ، إن أولادكم من أطيب كسبكم ، كلوا من كسب أولادكم] ^(١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [لا يجزى والد والده إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه] ^(٢) .

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قيل له : « ما حق الوالدين على الولد ؟ » قال : لو خرجت من أهلك ومالك لأبيك ما أدبت حقهما » ^(٣) .

رابعاً : المتابعة بين الحج والعمرة :

المتابعة بين الحج والعمرة من أسباب سعة الرزق ، ويسر الحال ، لا كما يظن البعض ، والواقع شاهد على ذلك ومن قبل دلت النصوص الشرعية على ما ذكرناه ، ومن جملة ذلك ما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : [تابعوا بين الحج والعمرة ، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب ، كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة ، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة] ^(٤) .

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : [هذا البيت دعامة الإسلام ، فمن خرج يوم « يقصد » هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضموناً على الله إن قبضه أن يدخله الجنة ، وإن رده رده بأجر وغنيمة] ^(٥) .

وما يحتف بالحج والعمرة مظنة تحقيق الخير في العاجل والآجل ، فمن أبي

(١) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن خزيمة .

(٢) رواه مسلم والترمذي وأبو داود .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة .

(٤) رواه النسائي والترمذي وصححه .

(٥) رواه ابن جرير بإسناد حسن .

هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : [الحجاج والعُمَار ، وفد الله ، إن دعوه أجابهم ، وإن استغفروه غفر لهم] ^(١) ، والحج واجب مرة في العمر وما زاد على ذلك فهو تطوع ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : [خطبنا رسول الله ﷺ فقال : يا أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج فحجوا ، فقال رجل : أكل عام يارسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً ، ثم قال ﷺ : لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ، ثم قال : ذروني ما ترككم ، فإنما هلك من قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه] ^(٢) .

والقول بالوجوب مرة في العمر لا ينافي استحباب التكرار متى تيسر ذلك ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة] ^(٣) .

وقالت عائشة رضي الله عنها : فلا أدع الحج بعد إذ سمعت هذا من رسول الله ﷺ وكانت قد سمعته يقول : [لكن أفضل الجهاد : حج مبرور] ^(٤) ، وفي بعض الروايات : لكن أحسن الجهاد وأجمله ، وجنس الحج والعمرة أفضل من التصديق على الفقراء والمساكين ، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

نقول فيه أن الحج أفضل من	فعل التصديق والإعطاء للفقراء
وكان قد سئل :	
ماذا يقول أهل العلم في رجل	آتاه ذو العرش مالا حج واعتمر
فهزه الشوق نحو المصطفى طرباً	أثرون الحج أفضل أم إيثاره الفقرا

(١) رواه النسائي وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

(٣) رواه البخاري ومسلم .

(٤) رواه البخاري ومسلم .

خامساً : الزواج من أسباب السعة :

الزواج الذى يتم على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، ويحرص فيه الطرفان على طاعة الله تُعد آية من آيات الله وسبباً لحصول المودة والرحمة ، قال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢١) ، وقد جعل سبحانه الزواج سبيلاً إلى الغنى فقال : ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢٢) ، والأَيَامَى جمع أيم ، أى الذى لا زوجة له والذى لا زوج لها .

وقال تعالى : ﴿ وَلْيَسْتَغْفِرِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ (٢٣) ، كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : عجبا لمن لم يلتمس الغنى فى النكاح ، والله يقول : ﴿ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : [ثلاثة حق على الله عونهم : المجاهد فى سبيل الله ، والمكاتب الذى يريد الأداء ، والناكح الذى يريد العفاف] (٢٤) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : [أربع من أصابهن فقد أعطى خير الدنيا والآخرة : قلباً شاكراً ، ولساناً ذاكراً ، وبدناً على البلاء صابراً ، وزوجة لا تبغيه حوباً فى نفسها وماله] (٢٥) .

وعن ثوبان رضي الله عنه قال : لما نزلت : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا

(٢) سورة النور الآية ٣١ .

(٤) رواه الترمذى .

(١) سورة الروم الآية ٢١ .

(٣) سورة النور الآية ٣٢ .

(٥) رواه الطبرانى بسند جيد .

يُفَقُّونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ (١) ، قال : كنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فقال : بعض أصحابه أنزلت في الذهب والفضة ، فلو علمنا أى المال خير فنتخذه ؟ فقال : [لسان ذاكراً ، وقلب شاكراً ، وزوجة مؤمنة تعينه على إيمانه] (٢) .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : [الدنيا متاع ، وخير متاعها المرأة الصالحة] (٣) ، قالزواج مظنة حصول الخيرات والبركات - ياذن الله - ويشهد لذلك قصة جليبيب رضي الله عنه وكان فقيراً فبعث النبي ﷺ إلى دار من دور الأنصار يخطب له ، فكره والد الفتاة تزويجها منه ، فقالت : ادفعونى لرسول الله ﷺ فإنه لن يضيعنى ، ودعا لها رسول الله ﷺ ربه أن يصب عليها الخير صباً صلباً ولا يجعل عيشها دكاً ، فكانت أكثر دور الأنصار نفقة وسعة .

ساسساً : الدعاء :

الدعاء من أنفع الطاعات والقربات في حصول النعم واندفاع النقم ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (٤) ، وقال : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (٥) ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : إني لا أحمل هم الإجابة ، ولكن أحمل هم الدعاء ، وذلك لأن العبد إذا ألهم

(١) سورة التوبة الآية ٣٤ .

(٢) رواه الترمذى وابن ماجه .

(٣) رواه مسلم .

(٤) سورة غافر الآية ٦٠ .

(٥) سورة البقرة الآية ١٨٦ .

الدعاء فإن الإجابة معه .

وكان أيضاً يقول لسعد بن وهيب خال النبي ﷺ يا سعد ليس بينكم وبين الله نسب ، أُنتم عباده ، وهو ربكم تتألون ما عنده بطاعته .

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يقول في دعائه : اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفة والغنى ، ومن الأدعية النافعة : اللهم إني أسألك علماً نافعاً ، ورزقاً واسعاً ، ودينياً قيماً وشفاء من كل داء ، وأعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها ، وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان إذا أكره أمر قال : [يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث] ^(١) ، ومن الأدعية النافعة دعاء الاستسقاء ، والاسترجاع حال المصيبة : إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتى وأخلف لي خيراً منها .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [من أصابه هم أو حزن فليدع بهذا الكلمات يقول : أنا عبدك وابن عبدك وابن أمتك في قبضتك ناصيتي بيدك ماضٍ في حكمك ، عدل في قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن نور صدري وريح قلبي وجلاء حزني وذهاب غمي وهمي] فقال رجل من القوم : يا رسول الله : إن المغبون لمن غبن هؤلاء الكلمات ، فقال : [أجل ، فقولوهن وعلموهن ، فإنه من قالهن التماس ما فيهن أذهب الله تعالى حزنه ،

(١) رواه الترمذي والحاكم وقال صحيح الإسناد .

وأطال فرحه ^(١)

وعن أبي بكره رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : [دعوات المكروب : اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفه عين ، وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت] ^(٢)

وعن أنس رضي الله عنه قال : كان أكثر دعاء النبي ﷺ : [اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار] ^(٣) ، زاد مسلم في روايته : وكان أنس إذا أراد أن يدعو بدعوة دعا بهما فإذا أراد أن يدعوا بدعاء دعا بها فيه .
عن علي رضي الله عنه أن مكاتبا جاءه فقال : إني عجزت عن كتابتي فأعني ، قال : ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله ﷺ ، لو كان عليك مثل جبل ديناً أداه عنك ؟ قل : [اللهم اكفني بحلالك عن حرامك ، واغنني بفضلك عن سواك] ^(٤)

وعن جابر رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن ، يقول : [إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ، ثم ليقل : اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي ، وعاقبة أمري ، أو قال : عاجل أمري وآجله ، فاقدره لي ، ويسره لي ، ثم بارك لي فيه ، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني

(١) رواه ابن السني والنسوي في الأذكار .

(٢) رواه أبو داود .

(٣) رواه البخاري ومسلم .

(٤) رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

ومعاشي وعاقبة أمري ، أو قال : عاجل أمري وآجله ، فاصرفه عني ، واقدّر لي الخير حيث كان ثم رضني به ، قال : ويسمى حاجته ^(١) .

فالاستخارة مستحبة في جميع الأمور ، وما خاب من استخار الخالق واستشار المخلوق ، عليك بالإكثار من الدعاء : اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال ، ولا تمتنع من الدعاء لما تعلمه من نفسك فإن الله أجاب دعاء شر الخلق إبليس عندما سأله المهلة إلى يوم القيامة ، وخذ بأسباب الإجابة ، كالطهر والصدقة واستقبال القبلة واغتنام أوقات وأحوال الإجابة ، والإلحاح على الله بالطلب وإظهار التضرع والتذلل وتكرار الدعاء ، وتطبيب المطعم والمشرب والملبس ، وتقديم الثناء على الله ، والصلاة على رسول الله ﷺ بين يدي الدعاء ، والدخول على الله من باب الأسماء والصفات مثل يا كريم اكرمني ، يارزاق ارزقني ، وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال : [ما من مسلم يدعو بدعوة ليس بها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث : إما أن يعجل لها دعوته ، وإما أن يدخرها له في الآخرة ، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها] ^(٢) .

واعلم أنه لن يهلك مع الدعاء أحد ، فادع الله وأنت موقن بالإجابة ، ولا تعجل ، ولا تقل : اللهم ارزقني إن شئت ، فإن الله لا مكره له ، وانظر في دعاء نبي الله موسى عليه السلام عندما ورد ماء مدين وسقى الماء للفتاتين ثم توجه إلى الظل وقال : ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ ^(٣) ، فما

(١) رواه البخاري .

(٢) رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي ورواه الترمذي بمعناه .

(٣) سورة القصص الآية ٢٤ .

تختلف عنه الإجابة ، قال تعالى : ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ (١) .

وكذلك كان الأمر بالنسبة لنبى الله أيوب عليه السلام ، قال تعالى : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى لِلْعَابِدِينَ ﴾ (٨٤) (٢) ، وقال : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرَى لِلْأُولَى الْأَلْبَابِ ﴾ (٣) ، فما تحول بقلبه عن ربه رغم شدة البلاء ، بل دعاه سبحانه ، فما أحوجه الله لمخلوق ، بل قيل له : ﴿ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ (٤٢) (٤) ، فشرب واغتسل وشفاه الله ، وعاد أكمل ما كان صحة وقوة ، وأعاد عليه أهله وماله أوفر ما كان ، وهذا كله بيركة دعائه وصبره على البلاء واستقامته على أمر الله فى عسره ويسره ورخائه وشلته .

سابعاً : الانشغال بذكر الله تعالى :

من انشغل بذكر الله تعالى أعطاه الله أفضل ما يعطى السائلين ، وقد علم النبى ﷺ ابنته فاطمة وعلياً رضى الله عنهما أن يسبحا كل ليلة إذا أخذنا مضاجعهما ثلاثاً وثلاثين ويحمدا ثلاثاً وثلاثين ويكبيرا أربعاً وثلاثين ، لما سأله الخادم ، وشكت إليه ما تقاسيه من العمل ، ثم قال : [إنه خير لكما من خادم] (٥) .

(١) سورة القصص الآية ٢٥ .

(٢) سورة الأنبياء الآيات ٨٣ ، ٨٤ .

(٣) سورة ص الآية ٤٣ .

(٤) سورة ص الآية ٤٢ .

(٥) رواه البخارى ومسلم الترمذى .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب : [لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم] ^(١) ، وفي رواية لمسلم أن النبي ﷺ كان إذا حزبه أمر قال ذلك .

وعن أبي قتادة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [من قرأ آية الكرسي وخواتيم سورة البقرة عند الكرب أغاثه الله عز وجل] ^(٢) .

وعن أبي سعيد بن وقاص رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : [إني لأعلم كلمة لا يقولها مكروب إلا فرج عنه : كلمة أخى يونس صلى الله عليه وسلم : ﴿ فَادْأَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٨٧)] ^(٣) ، وفي الحديث : [دعوة ذى النون إذ دعا ربه وهو فى بطن الحوت : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، لم يدع بها رجل مسلم فى شيء قط إلا استجاب له] ^(٤) .

وعن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [يا علي ألا أعلمك كلمات إذا وقعت فى ورطة قلتها ؟ قلت : بلى ، جعلنى الله فداك ، قال : إذا وقعت فى ورطة فقل : بسم الله الرحمن الرحيم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، فإن الله تعالى يصرف بها ما شاء من أنواع البلاء] ^(٥) .

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ وقال : علمنى كلاماً أقوله ، قال : [قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الله أكبر

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) رواه ابن النى وإسناده ضعيف .

(٣) سورة الأنبياء الآية ٨٧ ، .

(٤) رواه الترمذى .

(٥) رواه ابن النى ، والترمذى فى الأذكار .

كبيراً ، والحمد لله كثيراً وسبحان الله رب العالمين ، لا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم] ، قال : فهو لاء لربي فما لي ؟ قال : [قل : اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني] ^(١) .

ثامناً : الاستغفار :

قال تعالى إخباراً عن نوح عليه السلام : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً ^(١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبْنِي وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً ^(١٢) ﴾ ^(٢) .

وقال تعالى : عن هود عليه السلام : ﴿ يَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ^(٥٢) ﴾ ^(٣) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : [من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً ومن كل هم فرجاً ، ورزقه من حيث لا يحتسب] ^(٤) .

تاسعاً : الصدقات الواجبة والمستحبة :

الزكاة نماء وبركة وطهرة للنفس ، قال تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ ^(٥) .

وعن ابن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : [يا معشر

(١) رواه مسلم .

(٢) سورة نوح الآيات ١٠ ، ١٢ .

(٣) سورة هود الآية ٥٢ .

(٤) رواه أبو طلود وابن ماجه .

(٥) سورة التوبة الآية ١٠٣ .

المهاجرين خصال خمس ، ان ابتليتم بهن ونزلت بكم أعوذ بالله أن تدركوهن : لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين « الفقر » وشدة المؤنة وجور السلطان ، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر « المطر » من السماء ، ولولا البهائم لم يمطروا ، ولم ينقصوا عهد الله وعهد رسوله ، إلا سُلط عليهم عدو من غيرهم فيأخذ بعض ما في أيديهم ، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل بأسهم بينهم ^(١) .

وعن أبي كبشة الأنماري أن النبي ﷺ قال : [ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثاً فاحفظوه ، ما نقص مال من صدقة ، ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها ، إلا زاده الله بها عزاً ، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر] ^(٢) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لما بعث معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن قال : [إنك تأتي قوماً أهل كتاب ، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله عز وجل افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله تعالى افترض عليهم صدقة في أموالهم ، تؤخذ من أغنيائهم وترد إلى فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لذلك فأياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب] ^(٣) .

وعن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : [إن الله فرض على أغنياء المسلمين

(١) روله ابن ماجه والبخاري والبيهقي ، والحاكم بنحوه ، وقال : صحيح على شرط مسلم ..

(٢) روله الترمذى .

(٣) روله البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه .

فى أموالهم بقدر الذى يسع فقراءهم ، ولن تجهد الفقراء إذا جاعوا أو عروا إلا بما يصنع أغنيائهم [(١)] .

وفى الحديث : [ما من يوم يصبح العباد فيه ، إلا ومكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً] (٢) ، فوسع على نفسك بالنفقة على الأهل والأقارب والأولاد ، وتصدق على الفقراء والمساكين ، فالمال هو مال الله وأنت مستخلف فيه ، واحتسب فى نفقتك فأنت تتعامل مع أكرم الكرماء ، والجزاء من جنس العمل ، وقد ورد فى الحديث : [هل ترزقون إلا بضعفائكم] (٣) ، ولما اشتكى الرجل المحترف من أخيه الذى حضر مجلس رسول الله ﷺ قال له النبى ﷺ : لعلك ترزق به وقد ذكروا عن عبد الله بن جعفر أنه كان جوداً لا يسأل شيئاً إلا أعطاه حتى جاءه رجل يوماً يقول له : ابن سبيل ، فنزل له عبد الله عن دابته وأعطاه حقيبة فيها من مطارف الخبز ، وأربعة آلاف درهم ، ودفع له سيف على ، وقال : إياك أن تغلب عليه فجاءه الحسن والحسين يراجعانه ، ويقولان له : رحمك له أنفق ولا تسرف ، فقال : بأبى وأمى أنتما ، إن الله عودنى أن يتصدق على ، وعودته أن أتصدق على عباده وأخاف أن أقطع النفقة فيقطع عنى .

عاشراً : الجهاد فى سبيل الله :

فمن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله : [أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلى : أحل الله الغنائم لهذه الأمة دون غيرها ، نصرت بالرعب مسيرة

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط والمصنف يفرده به ثابت بن محمد الزاهد وقد روى عنه البخارى ، وقصة رواه لا بأس بها .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه البخارى .

شهر ، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً ، فأَيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبى يعث إلى قومه ، وبعثت إلى الناس عامة [(١)] ، وسبب ذلك ما جاء عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : [فلم تحل لأحد من قبلنا ، ذلك لأن الله تبارك وتعالى رأى ضعفنا وعجزنا فطيبها لنا] (٢) ، أى أحلها لنا .

وعن أبى هريرة روى قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : [أظلتكم فتن كقطع الليل المظلم أنجى الناس منها ، صاحب شاهقة ، يأكل من رسل غنمه ، أو رجل من وراء الدروب آخذ بعنان فرسه يأكل من فى سيفه] (٣) .
وعن مكحول قال : قال رسول الله ﷺ : [إن الله جعل رزق هذه الأمة فى سنابك خيلها وأزرجة رماحها ، ما لم يزرعوا ، فإذا زرعوا صاروا من الناس] (٤) .

وعن زيد بن أسلم روى قال : قال رسول الله ﷺ : [اغزوا تصحوا وتغنموا] (٥) .

وقد بعث رسول الله ﷺ بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له ، وجعل رزقه حتى ظل رمحه ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره ، ومن تشبه بقوم فهو منهم ، وقد ورد فى حديث أبى أمامة أن رجلاً جاء فقال : يا رسول

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

(٣) رواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد .

(٤) رواه ابن أبى شيبة مرسلأ بإسناد جيد .

(٥) رواه ابن أبى شيبة مرسلأ وفيه إسماعيل وهو ضعيف .

الله أرايت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر ، ماله ؟ قال ﷺ [لا شيء له ، فأعادها ثلاثاً ، كل ذلك يقول : لا شيء له] ^(١) ، ثم قال رسول الله ﷺ : [إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغى به وجهه] ، ولا يدخل فى ذلك من خرج للغزو ، وقصد إعلاء كلمة الله ، ثم حصل له شيء من المغنم ضمناً فغنيمته هذه مباحة له ، ولكنها تنقص من أجره ، ففى الحديث : [ما من غازية تغزو فى سبيل الله فيصيبون الغنيمة إلا تعجلوا ثلثي أجرهم من الآخرة ويبقى لهم الثلث ، وإن لم يصبوا غنيمة تم لهم أجرهم] ^(٢) ، وفى رواية لمسلم : [ما من غازية أو سرية تغزو فتغنم وتسلم إلا كانوا قد تعجلوا ثلثي أجرهم ، وما من غازية أو سرية تخفق وتصاب إلا تم أجرهم] أى لم يغنموا شيئاً .

وقد أورد الإمام البخارى باب من قاتل للمغنم هل ينقص من أجره ؟ ولم يجزم فى المسألة بشيء وأورد حديث أبى موسى الأشعرى : من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا « وكذلك لم يجزم ابن حجر فى الحكم ، أما النووى فقال : فالصواب الذى لا يجوز غيره أن الغزاة إذا سلموا أو غنموا يكون أجرهم أقل من أجر من لم يسلم ، أو سلم ولم يغنم ، وإن الغنيمة هى فى مقابلة جزء من أجر غزوهم ، فإذا حصلت لهم فقد تعجلوا ثلثي أجرهم المترقب على الغزو ، وتكون هذه الغنيمة من جملة الأجر ، وهذا موافق للأحاديث الصحيحة المشهورة عن الصحابة كقوله « منا من مات ولم يأكل من أجره شيئاً ، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهديها » أى يجتنيها فهذا الذى ذكرنا هو الصواب وهو

(١) رواه أبو داود والنسائى بإسناد جيد .

(٢) رواه مسلم .

ظاهر الحديث ولم يأت حديث صريح صحيح يخالف هذا فتعين جملة على ما ذكرنا . أ . هـ .

الحادى عشر : ترك المعاصى لأنها ممحقة للبركات متلفة للأرزاق :

هناك علاقة وثيقة بين الأسباب ومسبباتها وبين المقدمات ونتائجها ، فكل مقدمة لها نتيجة وكل عقيدة لها تأثير ، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جِئَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهُمْ لَئِنْ جَاؤَا إِلَّا الْكُفُورَ (١٧) ﴾ (١) ، لقد ضرب بقوم سبأ المثل وقيل تفرقوا آيادى سبأ ، شذر مذر ، ولا سبب لذلك إلا الإعراض والكفر ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ (٢٠) ﴾ (٢) ، وقال : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤١) ﴾ (٣) ، وقال : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا (١٦) ﴾ (٤) ، وقال : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حَسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكَرًا (٨) فَلَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا (٩) ﴾ (٥) .

(١) سورة سبأ الآيات ١٥ ، ١٧ .

(٢) سورة الشورى الآية ٢٠ .

(٣) سورة الروم الآية ٤١ .

(٤) سورة الإسراء الآية ١٦ .

(٥) سورة الطلاق الآيات ٨ ، ٩ .

وفي حديث عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : [يكون فى آخر هذه الآمة خسف ومسح وقذف] ، قالت : قلت : يا رسول الله : أتهلك فىنا الصالحون ؟ [قال : نعم إذا ظهر الخبث] ^(١) .

وفى الحديث : [والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذاباً من عنده ، ثم لتدعنه ولا يستجاب لكم] ^(٢) ، ورد : [ما من رجل يكون فى قوم يعمل فيهم بالمعاصى يقدرّون على أن يغيروا عليه ولا يغيرون ، إلا أصابهم الله منه بعقاب قبل أن يموتوا] ^(٣) .

لقد أصبحنا اليوم نفتر بكل معصية ونشق الطريق لكل منكر ، ونرى كل من يدعو إلى الكفر بعين ملؤها غبطة ، فإن اعترض عليه أحد أو أنكر عليه يعتبر رجعيّاً ، يعوق المجتمع عن التقدم ... فما أعظم الفرق بين أمسنا ويومنا ، فلا يستغرب كثرة الزلازل والفيضانات والحوادث والكوارث التى تمحق البركات وتلف وتدمر الأرزاق ، وانظر لفرائض الإسلام كيف ضيعت ، كم من الناس يصلون ويذكرون !؟ كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يبعث لولاته ويقول : ألا إن أهم أموركم عندى الصلاة ، ألا إنه لا حظ فى الإسلام لمن ضيع الصلاة ، وكان يقول : من ضيعها فهو لما سواها أضيع ، فشا الظلم والجهل والزنا وضيعت الأمانة وأسند الأمر لغير أهله وشربت الخمر واستبيحت ، وقد ثبت فى الحديث أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل فقال : [يا محمد إن الله لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وحاملها ، والمحمولة إليه وشاربها ، وبائعها ومبتاعها

(١) رواه الترمذى .

(٢) رواه الترمذى .

(٣) رواه أبو داود وابن ماجه .

وساقها ومسقاها [(١) ، والخمر هي أم الخبائث ومفتاح كل شر ، فإذا كانت الأوضاع التي تبيحها ملعونة فلا يبقى إلا ارتفاع الرحمة ونزول النعمة ، وانظر فى التعاملات الربوية التى استشرت على مستوى الفرد والدولة والجماعة ، وصار البعض يرى أنه لا حياة بدونها !!! قال تعالى : ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ (٢٧٦) ، وقال : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ (٣) ، وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴿ (٤) ، نزلت بشأن أهل الطائف ، وكانوا يصلون ويصومون ... ولكنهم كانوا يتعاملون بالربا ... وهو آخر المحرمات فى القرآن ، فتهددهم سبحانه وتوعدهم بما لا طاقة لهم بها ، إن هم لم ينتهوا عن هذه التعاملات الربوية . وقد لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وكتابه وشاهديه وقال : هم سواء ، والربا سبعون جزءاً ، أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال : [يامعشر المهاجرين ! خمس خصال إذا ابتليتم بهن ، وأعوذ بالله أن تتركوهن ، لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها ، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن مضت فى أسلافهم الذين مضوا ، ولم ينقصوا الميكال والميزان إلا أخلنوا بالسنين ، وشدة المؤونة ، وجور

(١) حديث حسن ، رواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٧٦ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢٧٥ .

(٤) سورة البقرة الآيات ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

السلطان عليهم ، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ، ولولا البهائم لم يمطروا ، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلب الله عليهم عدواً من غيرهم ، فأخذوا بعض ما فى أيديهم ، ولو لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا فيما أنزل الله جعل الله بأسهم بينهم ^(١) .

لقد صُرفت العبادة لغير الله ، وحكمنا بغير ما أنزل الله ، وصار الولاء والبراء ليس لله فيه نصيب ، نوالى الكفار ، ناهيك عن التبرج والاختلاط والرشوة والغصب ، والعقوق وإضاعة الحقوق ، والرقص والغناء وحياة اللهو واللعب ، مما جعلنا أذلة ومكن الأعداء من رقابنا ، فلا نحن تقدمنا وتطورنا وتحضرنا ولا نحن استبقينا ديننا ، وكيف تكون الحضارة بلا دين ، وهل الاستمساك بالشرع يتنافى مع التطور والتقدم ؟ ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ ^(٢) ، وقال : ﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ ^(٣) ، والمؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، فعلينا أن نعود إلى ديننا عوداً حميداً ، وأن نتوب إلى ربنا ، فمن رحمته سبحانه أنه يملئ للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ، ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ ^(٤) (١٠٢) ، وإذا كان الله لا يأخذنا بعذاب يفاجئنا ونقمة تقضى علينا جميعاً ، فذلك بفضل رحمة الله علينا ودعاء نبيه ﷺ ، إن ذنباً واحداً يكفى لهدم ما بنيناه ، فكيف إذا توالى المعاصى والذنوب بلا حياء ، وأعمالكم عمالكم ، وما ربك بظلام للعبيد .

(١) رواه ابن ماجه والبخارى والمسلم بنحوه ، وقال : صحيح على شرط مسلم .

(٢) سورة الإسراء الآية ٩٥ .

(٣) سورة الأنفال الآية ٦٠ .

(٤) سورة هود الآية ١٠٢ .

تنبيه هام جداً يتعلق بأسباب سعة الرزق التي ذكرناها :

لا يخفى على أحد أهمية السعى طلباً للكسب والمعاش وتحصيلاً للأرزاق ، وأنه عبادة يتقرب بها إلى الله ، وأن اليد العليا خير من اليد السفلى ، وأفضل الدنانير الذى ينفقه المرء على أهله وعياله ، وكفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول ، وقد كثرت الحاجات والمتطلبات والضواغط العرفية التى صرنا أسرى لها ، ولا يخفى أيضاً كثرة الصور والأسباب والمصادر المباحة للكسب كالزراعة والصناعة والرعى والصيد والتجارة والتملك بالإرث والهبة ... وأنه إذا أضاق الأمر هنا فقد يرحل المرء إلى غير وطنه لتجارة وعمل ونحو ذلك ، وقد أردنا التنبيه على المعانى الإيمانية التى صارت مهجورة بسبب حياتنا المادية كالدعاء والاستغفار وبر الوالدين ومتابعة الحج والعبرة ... وغير ذلك من الطاعات والقربات التى يتحقق بها الإيمان والتقوى ، وكان يسعنا فى ذلك أن نذكر أنفسنا وإخواننا بتقوى الله ونكتفى فهى جماع كل خير فى الدنيا والآخرة ، ولكننا انتقلنا من الإجمال إلى التفصيل ، فذكرنا بعض أسباب سعة الرزق التى وردت بها نصوص الشريعة ، والتى تدخل ضمن مفهوم التقوى ولا تنفصل عنه ، ولما كانت التخلية قبل التحلية ، وقد أمرنا بتقوى الله ما استطعنا ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ ^(١) ، ولذلك ذكرت أن من أعظم أسباب سعة الرزق التباعد عن المعاصى والمنكرات ، فالمخالفات سبب محق البركات وتدمير الأرزاق ، ولذلك لزم تركها ، وهذا من أعظم الواجبات ، وقد ورد فى الحديث : [إذا أمرتكم بشئ فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا

نهيتكم عن شيء فدعوه (١)

وهذه الأسباب الإيمانية المذكورة هي من أعظم أسباب سعة الرزق ولا تتعارض مع الزراعة والصناعة والتجارة... فينبغي الحرص عليها في كل آن وحين وعدم الفريط فيها ، والخرج كل الخرج في نسيان الله ومواقعة ما حرم الله يزعم طلب الرزق أو التوسعة على الأهل والعيال .

ولا يخفى عليك أهمية إخلاص العبادة لله تعالى ، قال سبحانه : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ (٢) ، فالعبد سعيد بطاعة الله في الدنيا والآخرة ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ﴾ (٣) ، ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ (٤) ، والمؤمن من يطعم بحسناته في الدنيا والآخرة ، أما الكافر فهو يطعم بحسناته في الدنيا دون الآخرة لأن الله حكم عدل ، قال تعالى : ﴿ وَقَدْ مَنَّا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا ﴾ (٥) ، وقال : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فُوقَاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (٦) ، فما عمله الكافر من خير يراه في ذريته وصحته وماله ... أما الآخرة فليس له فيها إلا النار ، ولذلك لما سئل رسول الله ﷺ عن ابن جدعان ، وأنه كان يقرى الضيف ، ويكسب المعدوم ، ويعين على نوائب الحق ، قال : هو في النار ، إنه

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) سورة البينة الآية ١٥ .

(٣) سورة التغابن الآية ١١ .

(٤) سورة النحل الآية ٩٧ .

(٥) سورة الفرقان الآية ٢٣ .

(٦) سورة النور الآية ٣٩ .

لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين ، وهذا يفسر لك لماذا ينعم ويتمتع الكافر في الدنيا وقد يكون أكثر مالا وأوفر صحة من المسلم ... فالدنيا هي سجن المؤمن وجنة الكافر ، ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ (١٢) ﴿ (١) .

فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ، واضبطوا الحركات والسكنات والأقوال والأفعال ، بل والمشاعر والأحاسيس بشرع الله ، ولا تنشغلوا بالرزق الفاني عن الرزق الباقي والنعيم الدائم في الجنة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا لَرْزُقْنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴾ (٥٤) ﴿ (٢) .

واحذروا التكالب على الدنيا وإضاعة الدين بسببها ، والانشغال بها عن الله ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿ (٥٨) ﴿ (٣) .

(١) سورة محمد ﷺ الآية « ١٢ » .

(٢) سورة ص الآية « ٥٤ » .

(٣) سورة الذاريات الآية « ٥٨ » .

أسباب تعينك على تحقيق غنى النفس

أولاً : مطالعة أحوال سيد الأولين والآخرين ﷺ :

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَمْدَنَّ عَيْنَكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْثَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ ^(١) ، وقال تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ ^(٢) (٢٨) .

وقال : ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ ^(٣) (٢٩) ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن الله أرسل إلى نبيه ملكاً من الملائكة معه جبريل ، فقال الملك لرسوله : [إن الله يخبرك بين أن تكون عبداً نبياً وبين أن تكون ملكاً نبياً فالتفت رسول الله إلى جبريل كالمستشير له ، فأشار جبريل إلى رسول الله ﷺ : أن تواضع ، فقال رسول الله ﷺ : بل أكون عبداً نبياً ، قال : فما أكل بعد تلك الكلمة طعاماً متكئاً حتى لقي الله عز وجل] ^(٤) .

ولما دخل عمر على رسول الله ﷺ ، وإذا هو مضطجع على رمال حصير قد أثر في جنبه ، فهملت عينا عمر ، فقال : مالك ؟ فقلت : يا رسول الله أنت

(١) سورة طه الآية ١٣١ .

(٢) سورة الكهف الآية ٢٨ .

(٣) سورة النجم الآيات ٢٩ ، ٣٠ .

(٤) رواه البخارى فى التاريخ وأخرجه النسائى وأصله فى الصحيح بنحو من هذا اللفظ .

صفوة الله من خلقه ، وكسرى وقبصر فيما هما فيه ، فجلس محمراً وجهه فقال : [أوفى شك أنت يا ابن الخطاب ؟] ثم قال : [أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا] ^(١) ، وفي رواية لمسلم : [أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة ؟] فقلت : بلى يا رسول الله ، قال : [فاحمد الله عز وجل]

وعن أبي هريرة ، قال : أتى رسول الله ﷺ يوماً بطعام سخن فأكل ، فلما فرغ قال : [الحمد لله ما دخل بطني طعام سخن منذ كذا وكذا] ^(٢) .

وعن أنس بن مالك أن فاطمة تناولت رسول الله ﷺ كسرة من خبز الشعير فقال : [هذا أول طعام أكله أبوك منذ ثلاثة أيام] ^(٣) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يبيت الليالي المتتابعة طاوياً وأهله لا يجدون عشاء ، وكان عامة خبزهم خبز الشعير ^(٤) ، وفي الصحيح أن أبا طلحة قال : يا أم سليم : لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ أعرف فيه الجوع . والآثار في ذلك كثيرة ، وكلها تدل على زهده ﷺ في هذه الدار وإقباله واجتهاده وعمله لدار القرار ، لقد كان سيد الراضين الصابرين الشاكرين ﷺ يخصف نعله ويرقع ثوبه ويحلب شاته ، في مهنة أهله ، يأكل أكلة العبد ، ويجلس جلسة العبد ، فلك فيه أسوة حسنة ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ ^(٥) .

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) رواه ابن ماجه .

(٣) رواه أحمد .

(٤) رواه ابن ماجه .

(٥) سورة الأحزاب الآية ٢١ .

ثانياً : مطالعة التراجم والسير للصحابة ومن تابعهم بإحسان :

قالت حفصة لعمر - رضى الله عنهما - : يا أمير المؤمنين لو اكتسبت ثوباً هو ألين من ثوبك ، وأكلت طعاماً ما هو أطيب من طعامك ، فقد وسع الله من الرزق وأكثر من الخير ، فقال : إني سأخاصمك إلى نفسك ، أما تذكرين ما كان رسول الله ﷺ يلقي من شدة العيش ، وكذلك أبو بكر ؟ فما زال يذكرها حتى أبكاها ، فقال لها : أما والله لأشارككنهما في مثل عيشهما الشديد لعلى أدرك عيشهما الرّخى ^(١) .

وعن الحسن قال : خطب عمر الناس وهو خليفة وعليه إزار فيه ثنتا عشرة رقعة ، وعن أنس قال : كان بين كتفى عمر ثلاثة رقاع .

وعن أبي صالح قال : قال معاوية بن أبي سفيان لضرار بن ضمرة : صف لى علياً ، فقال : أوتعفينى ؟ قال : بل صفه ، قال : أوتعفينى ؟ قال : لا أعفيك . قال : أما إذا ، فإنه والله كان بعيد المدى شديد القوى ، يقول فصلاً ويحكم عدلاً ، يتفجر العلم من جوانبه ، وينطق بالحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل وظلمته ، وكان والله غزير الدمعة ، طويل الفكرة ، يقلب كفه ويخاطب نفسه ، يعجبه من اللباس ما خشن ، ومن الطعام ما جش ، وكان والله كأحدنا يجيبنا إذا سألناه ، يبتدئنا إذا أتينا ، ويأتينا إذا دغونا ، ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه هية ، ولا نبتديه لعظمه ، فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم ، يعظم أهل الدين ويحب المساكين ، لا يطمع القوى فى باطله ، ولا يئس الضعيف من عدله ، وأشهد بالله لقد رأيته

فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سجوفه وغارب نجومه ، وقد مثل فى محرابه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم ، ويكى بكاء الحزين ، وكأنى أسمعُه وهو يقول : يا دنيا يا دنيا أبى تعرّضت أم لى تشوّفت ؟ هيهات هيهات غُرَى غبرى ، قد بتتّك ثلاثاً لا رجعة لى فيك ، فعمرك قصير ، وعيشك حقير ، وخطرك كبير ، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق قال : فذرفت دموع معاوية رضي الله عنه حتى خرّت على لحيته فما يملكها وهو ينشفها بكمه ، وقد اختنق القوم بالبكاء ، ثم قال معاوية : رحم الله أبا الحسن ، كان والله كذلك ، فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟ قال : حزن كمن ذبح ولدها فى حجرها فلا ترقأ عبرتها ، ولا يسكن حزنها .

وعن سفيان الثوري قال : قام أبو ذر الغفاري عند الكعبة فقال : يا أيها الناس أنا جندب الغفاري هلموا إلى الأخ الناصح الشفيق ، فاكتنفه الناس فقال : أرأيتم لو أن أحدكم أراد سفرأ ليس يتخذ من الزاد ما يصلحه ويبلغه ؟ قالوا : بلى ، قال : فإن سفر طريق القيامة أبعد ما تريدون ، فخذوا ما يصلحكم ، قالوا : وما يصلحنا ؟ قال : حجوا حجة لعظائم الأمور ، وصوموا يوماً شديداً حرّه لطول النشور ، وصلوا ركعتين فى سواد الليل لوحشة القبور ، كلمة خير تقولها أو كلمة شر تسكت عنها لوقوف يوم عظيم ، تصدق بما لك لعلك تنجو من عسيرها ، اجعل الدنيا مجلسين ، مجلساً فى طلب الحلال ومجلساً فى طلب الآخرة ، الثالث : يضرك ولا ينفعك لا ترده ، اجعل المال درهمين درهماً تنفقه على عيالك من حلّه ، ودرهماً تقدمه لآخرتك ، الثالث : يضرك ولا ينفعك لا ترده .

ثم نادى بأعلى صوته : يا أيها الناس قد قتلكم حرص لا تدركونه أبداً .

وعن جعفر بن سليمان قال : دخل رجل على أبي ذر فجعل يقلب بصره في بيته فقال : يا أبا ذر أين متاعكم ؟ قال : لنا بيت نوجه إليه صالح متاعنا . قال : إنه لا بد لك من متاع ما دمت هاهنا ، قال : إن صاحب المنزل لا يدعنا فيه .

وعن خباب قال : هاجرنا مع رسول الله ﷺ نبتغي وجه الله ، فوجب أجراً على الله عز وجل فمنا من مضى ولم يأكل من أجره شيئاً ، ومنهم مصعب بن عمير قُتل يوم أحد فلم نجد له شيئاً نكفنه فيه إلا نَمرة ، كنا إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه ، وإذا غطينا رجله خرج رأسه ، فأمرنا رسول الله ﷺ أن نغطي بها رأسه ، ونجعل على رجله من الإذخر ، ومنا من أينعت له ثمرته ، فهو يهدبها (١) .

ولما حضر معاذ بن جبل الموت قال : انظروا أصحابنا ؟ قال : فأتى فقيل : لم نصبح حتى أتى في بعض ذلك فقيل له : قد أصبحت ، فقال : أعوذ با من ليلة صباحها النار ، مرحباً بالموت مرحباً ، زائر مُغَبٍّ ، حبيب جاء على فاقة ، اللهم إني قد كنت أخافك ، وأنا اليوم أرجوك ، إنك لتعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لكرى الأنهار ، ولا لغرس الأشجار ولكن لظماً للهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند خلق الذكر .

وكان أبو الدرداء إذا رأى جنازة قال : اغدوا فينا رائحون ، وروحوا فينا غادون موعظة بليغة وغفلة سريعة ، كفى بالموت واعظاً ، يذهب الأول فالأول ويبقى الآخر لا حلم له .

وكان يقول : اللهم إني أعوذ بك من تفرقة القلب ، قيل : وما تفرقة القلب ؟ قال : أن يوضع في كل واد مال ، وكتب إلى أخ له : أما بعد فلست في شيء من أمر الدنيا إلا وقد كان له أهل قبلك ، وهو صائر له أهل بعدك ، وليس لك منه إلا ما قدمت لنفسك فآثرها على المصلح من ولدك فإنك تقدم على من لا يعذرک ، وتجمع لمن لا يحمذك ، وأما عامل فيه بمعصية الله عز وجل فيشقى بما جمعت له ، وليس - والله - واحد منهما بأهل أن تُبرد له على ظهرك وأن تؤثره على نفسك ، أرج لمن مضى منهم رحمة الله ، وثق لمن بقي منهم برزق الله عز وجل ، والسلام .

وكان أويس بن عامر سيد سادات التابعين يقول : يا أهل الكوفة توسدوا الموت إذا نتمتم وضعوه نصب أعينكم إذا قمتم ، وقد وصفه الشاطبي بأنه سيد العباد بعد الصحابة ، وقال عنه الذهبي : القدوة سيد التابعين في زمانه ، وقال عنه الإمام أحمد : لا زهداً إلا زهد أويس بلغ من العرى حتى قعد في قوصرة ، وكان أويس يعتذر إلى ربه ويقول : اللهم إني أعتذر إليك اليوم من كل كبد جائعة وبدني عارى فإنه ليس في بيتي من الطعام إلا ما في بطني ، وليس شيء من الدنيا إلا ما على ظهري ولم يكن على ظهري حيثئذ إلا خرقه .

وطالع أحوال سلفك الصالح فلك فيهم أسوة وقدوة ، وعساك بصيبك شيء من غنى النفس الذي عاشوا به وكانوا عليه .

وكل خير في اتباع من سلف
وكل شر في ابتداع من خلف
وأفضل الأحوال ما اصطفاه ربنا لصحابة نبيه ﷺ .

ثالثاً : التوكل من أعظم أسباب غنى النفس :

من تعلق قلبه بالله تعالى في جلب النفع ودفع الضرر كفاه ما أهمه ،
واندفع عنه ما أغمه ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ ^(١) ،
وقال : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا
وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ ^(٢) ^(١٧٣) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسَّهِمْ
سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ﴾ ^(٣) ، وقال : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ
بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾ ^(٤) ، وقد أمر سبحانه خلقه بالتوكل عليه والإنابة إليه
وتفويض الأمر له وحده ، فقال : ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ ^(٥) ، وقال : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ ^(٦) ^(٨١) ،
وقال : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٧) ، فعلى العبد أن يستفرغ
وسعه في الأخذ بالأسباب ويتعلق بقلبه بخالق الأرض والسموات ، وقد فسر
بعض العلماء التوكل بصورة من صور الأخذ بالأسباب كإطفاء السراج وإغلاق
الباب ، وهو من أعظم العبادات القلبية ، ولا معارضة بينه وبين تعاطي ما أمر
الله به من الأسباب ، قال تعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ
بِحَمْدِهِ ﴾ ^(٧) .

روى أن شقيق البلخي قال لحاتم الأصم : قد صحبتني مدة ثلاثين سنة

(١) سورة الطلاق الآية ٣ .

(٢) سورة آل عمران الآيات ١٧٣ ، ١٧٤ .

(٣) سورة الزمر الآية ٣٦ .

(٤) سورة آل عمران الآية ١٥٩ .

(٥) سورة النساء الآية ٨١ .

(٦) سورة المائدة الآية ٢٣ .

(٧) سورة الفرقان الآية ٥٧ .

فماذا تعلمت ، قال : ثمان مسائل :

الأولى : فإنى نظرت إلى الخلق فإذا كل شخص له محبوب ، فإذا وصل إلى القبر فارقه محبوبه ، فجعلت محبوبى حسنانى لتكون معى فى القبر .

وأما الثانية : فإنى نظرت إلى قوله تعالى : ﴿ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ ^(١) ، فأجهدتها فى دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله .

وأما الثالثة : فإنى رأيت كل من معه شىء له قيمة عنده يحفظه ثم نظرت فى قوله سبحانه : ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ ^(٢) ، فكلما وقع معى شىء له قيمة وجهته إليه ليبقى لى عنده .

وأما الرابعة : فإنى رأيت الناس يرجعون إلى المال والحسب والشرف ، وليست بشىء ، فنظرت إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَكْرَمُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ ﴾ ^(٣) ، فعملت بالتقوى لأكون عنده كريماً .

فإنى رأيت الناس يتحاسدون فنظرت إلى قوله تعالى : ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ^(٤) ، فتركت الحسد .

وأما السادسة : رأيتهم يتعادون فنظرت فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ ^(٥) ، فتركت عدواتهم واتخذت الشيطان وحده عدواً .

وأما السابعة : رأيتهم يذلون أنفسهم فى طلب الرزق فنظرت إلى قوله

(١) سورة النازعات الآية ٤٠ .

(٢) سورة النحل الآية ٩٦ .

(٣) سورة الحجرات الآية ١٣ .

(٤) سورة الزخرف الآية ٣٢ .

(٥) سورة فاطر الآية ٦ .

تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ ^(١) ، فاشتغلت بماله على وتركت الذى لى عنده .

وأما الثامنة : رأيتهم متوكلين على تجارتهم وصنائعهم وصحة أبدانهم فتوكلت على الله تعالى . أ . ه .

وقد بنى حاتم الأصم أمره فى التوكل على خصال أربع ، قال : علمت أن رزقى لا يأكله غيرى فاطمأنت به نفسى ، وعلمت أن عملى لن يعمله غيرى فأنا مشغول به ، وعلمت أن الموت يأتى بغتة فأنا أبادره ، وعلمت أنى لا أخلو من عين الله حيث كنت فأنا مستحى منه .

وكان البعض يقول : ما من صباح إلا والشيطان يقول لى : ما تأكل وما تلبس وأين تسكن ؟ فأقول : آكل الموت وألبس الكفن وأسكن القبر .

رابعاً : الإيمان بالقضاء والقدر :

الكون الذى نعيش منظم ومحكم ويسير وفق علمه سبحانه وحكمته ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾ ^(٢) ، ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾ ^(٣) ، والرزق لا يسوقه حرص حريص ولا يرده كراهية كاره ، ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه : إن الله بقسطه وعلمه جعل الروح والفرح فى اليقين والرضى ، وجعل الهم والحزن فى الشك والسخط ، والقدر هو نظام التوحيد كما قال ابن عباس ، فمن كذب بالقدر فقد نقض تكذيبه توحيده ، والمؤمن بالقضاء والقدر يشبع ويطمئن قلبه ، ويكون غنياً بلا مال ، قال تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ

(١) سورة هود الآية ٦٠ .

(٢) سورة الرعد الآية ٨ .

(٣) سورة الأحزاب الآية ٣٨ .

فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلُ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ
(٢٢) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ
فَخُورٍ (٢٣) ﴿ (١)

وفى حديث ابن عباس رضى الله عنهما [واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك] (٢) ،
وفى رواية أخرى : [واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك] (٣) ، ومن العباد من لا يصلح إيمانه إلا الغنى ولو افتقر لأفسده ذلك ، ومنهم من لا يصلح إيمانه إلا الفقر ولو اغتنى لأفسده ذلك ، ومن العباد من لا يصلح إيمانه إلا الصحة ولو مرض لأفسده ذلك ، ومنهم من لا يصلح إيمانه إلا السقم ، ولو صح لأفسده ذلك ، وإن العباد ليهم بالتجارة أو الإمارة فيصرف عنها ، فيقول شتمنى فلان ، منعى فلان ، وماهى إلا رحمة الله به فالله هو الذى يدبر أمر عباده بعلمه بما فى قلوبهم وهو العليم الحكيم ، وينبغى أن يعلم أن التسليم للقدر يكون بعد بذل الوسع فى تعاطي ما أمر الله به من الأسباب ، ويكون هذا التسليم فى المصائب لا فى المعاييب ، إذ المعاييب لا بد وأن تنتهى عنها ، ونستغفر الله منها .

خامساً : معانى الإيمان بالله واليوم الآخر :

كلما قويت العقيدة قربت بين العبد وبين ما كان عليه الأنبياء والصالحون من غنى النفس وطمأنينة القلب والرضى عن الله فى العسر واليسر والمنشط

(١) سورة الحديد الآيات ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) حديث صحيح رواه الترمذى .

(٣) حديث صحيح أخرجه أبو داود وابن ماجه .

والمكره والغنى والفقر ، قال تعالى : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾ ^(١) ، وقال : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ^(٢) ، ومن الإيمان بالله الإيمان بأسمائه وصفاته ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾ ^(٣) ، والله هو القابض الباسط ، المعطي المانع ، المعز المذل ، الخافض الرافع ، يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ، ويعز من يشاء ويذل من يشاء ، بيده الخير سبحانه وهو على كل شيء قدير ، غير مطعون في شيء من ذلك كله ، ولذلك فلا اعتراض عليه إذا تصرف في ملكه ، فهو خالق الخلق ومالك الملك ، والناس يدورون بين فضل وعدل ، ولا ظلم بين العباد ، فإذا كانت الدنيا شيئاً هو له ، فله أن يعطيها من يشاء ويمنعها ممن يشاء ، ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ ^(٤) ، ولا يعطى من أعطى لما كتبه عنده ، ولا يمنع الدنيا من منع لحقارته لديه ، فالميزان عند الله يختلف عن موازين البشر المادية ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَجْتَمِعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾ ^(٥) .

وفي الحديث : [لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء] ^(٦) .

(١) سورة النور الآية ١٢٢ .

(٢) سورة الشورى الآية ٥٢ .

(٣) سورة الأعراف الآية ١٨٠ .

(٤) سورة الأنبياء الآية ٢٣ .

(٥) سورة محمد ﷺ الآية ١٢ .

(٦) رواه الترمذى وقال : حديث صحيح غريب .

ولا أنفع للعبد في تحقيق غنى النفس من تذكر الموت والقبور والآخرة ،
والارتحال طلباً لما عند الله من نعيم مقيم ، بحيث يستحضر سكرات النزع وفراق
المال والأهل والأحباب وضيق القبور وفتنتها وتطايير الصحف والصراط والميزان
والجنة والنار ، وكأن قد ، فريق في الجنة وفريق في السعير ، فالدنيا قد ارتحلت
مدبرة والآخرة قد ارتحلت مقبلة ، وكل ما هو آت فهو قريب والبعيد ما ليس
بآت ، فلا بد من المبادرة فإنما هي الانفاس ، وكل نفس قد تشتري به نعيماً لا
ينفذ وقرة عين لا تنقطع ، وقد قال رسول الله ﷺ عند وفاة ابنه إبراهيم :
[تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب ، ولولا أنه وعد
صادق وموعود جامع وأن الآخر منا يتبع الأول ، لوجدنا عليك يا إبراهيم
وجداً ، وإنا بك يا إبراهيم محزونون] ^(١) ، فالإيمان بالله واليوم الآخر
يخفف المصائب ويسلي النفوس بحيث تحسن المسير إلى الله تعالى .

**سادساً : دار ابتلاء والكل فيها مبتلى ، ومن يرد الله به
خيراً يصيب منه :**

قال تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ
عَمَلًا ﴾ (٧) ^(٢) ، وصح الخبر عن رسول الله ﷺ : [أشد الناس بلاءً
الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل] ^(٣) ، وورد : فإن كان في دينه
صلباً اشتد بلاؤه ، وإن كان في دينه رقة ابتلى على قدر دينه ، فلا بد من
امتحان واختبار في هذه الدار فلا تجزع من ذلها ولا تنافس في غيرها ، فلك

(١) رواه البيهقي بسند صحيح .

(٢) سورة الكهف الآية (٧) .

(٣) رواه الطبراني .

شأن وللناس شأن ، واحذر أن تنقلب على عقبك القهقري ، أو أن تبيع دينك بدنياك أو بدنيا غيرك واعلم [أن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم] ^(١) .

ومما يسلى النفوس المؤمنة ما ورد فى الحديث : [ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها] ^(٢) .

وفى الحديث أيضاً : [عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له] ^(٣) .

فإن لم ترض بقضائه فارحل من تحت سمائه ، واخترك رباً سواه ، وما أنت بفاعل ، فكان لابد من الصبر والرضى والطمأنينة والثقة وبذلك يتحقق غنى النفس أتم تحقيق ، قال تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧) ﴾ ^(٤) ، وقال : ﴿ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (١٠) ﴾ ^(٥) ، وما أعطى أحد عطاءً أوسع من الصبر ، فهنيئاً لك إن أنت احتسبت الأجر عند الله وعشت حياة الإيمان .

سابعاً : تدبر آيات الله :

أوضح النبى ﷺ لأمته أن الغنى ليس بكثرة العرض ، ولكن الغنى غنى

(١) رواه أحمد بسند صحيح .

(٢) رواه أحمد والبخارى ومسلم .

(٣) رواه مسلم .

(٤) سورة البقرة الآيات ١٥٥ ، ١٥٧ .

(٥) سورة الزمر الآية ١٠ .

النفس ، ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) ﴾ (١) ، وقد كانت أقواله وأفعاله من مشكاة واحدة فلا يظن بنصوص الوحي وجود تعارض ، ولذلك فكل آية من آيات الله تعالى داعية لتحقيق هذا الغنى المنشود ، فالقرآن وعد ووعد ، وترغيب وترهيب ، وبشارة ونذارة ، وقصص قرآني حكى لنا شأن من استقام وآثر ما عند الله فكانت له الحسنی وزيادة في الآخرة ، والسعادة الحقيقية في دنياه وأخراه ، ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٣٩) ﴾ (٢) ، ومثل هذا يخطيء من يظنه سعيداً بجماله وجاهده وسلطانه في الدنيا ، قال تعالى : ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (٥٥) ﴾ (٣) ، قال البعض : يعذبون بجمعها وتزهق أنفسهم بحبها وهم كافرون بمنع حق الله فيها ، فلا بد أن يشقى العبد بإيثاره ما سوى الله ، وإن حدث له لذة ، فهي لذة ساعة وألم دهر . قال تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُخْسُونَ (١٥) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٦) ﴾ (٤) ، وقال سبحانه عن المشركين : ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (٣١) ﴾ (٥) ، فهذا هو شأنهم حتى وإن امتلكوا الدنيا ، فلا تنخدع بزخرف فإن وعارية

(١) سورة النجم الآيات ٣ ، ٤ .

(٢) سورة النازعات الآية ٣٧ .

(٣) سورة التوبة الآية ٥٥ .

(٤) سورة هود الآيات ١٥ ، ١٦ .

(٥) سورة الحج الآية ٣١ .

مسترجعة وظل حائل ، وقف مع حقائق القرآن والسنة ففي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [من كانت الدنيا أكبر همه جعل الله فقره بين عينيه ، وفرق شمله ولم يأت من الدنيا إلا ما قدر له] ^(١) ، إن القرآن يزرع الإيمان ويثبت في النفوس بحيث تطمئن به القلوب ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ ^(٢) ، كما كان يزود المسلم بالتصورات والمفاهيم الصحيحة ويرد على شبهات ووساوس شياطين الإنس والجن ممن يخربون العقول بانحرافها عن منهج الله ، ويدمرون القلوب بمادية طاغية وبايثار الفانية على الباقية ، قال تعالى : ﴿ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾ ^(٣) وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ^(٤) .

ثامناً : النظر لمن هو دونك في الدنيا يحقق لك غنى النفس :

ورد في الحديث : [انظروا إلى من هو أسفل منكم « في متاع الدنيا » ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فإنه أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم] ^(٥) ، فهذه هي نظرة المسلم ، ينظر في الدين لمن هو فوقه حتى يتأسى به ، وينظر في الدنيا لمن هو تحته حتى يحمد ربه ويؤدي شكر النعمة التي يعيشها ، ولا يحتقر ما هو فيه ، فلو كان يسكن حجرة يقول لنفسه البعض لا يستطيع سكنى الأرضفة ، وإن امتلك قوت يومه قال : الحمد لله ، فالبعض لا يجد شربه ماء ولا رغيف الخبز ، بعكس ما لو تطلع لمن يسكن القصور ويمتلك الملايين ،

(١) رواه الترمذى وضعف الألبانى إسناده ، وقال : لكنه حسن في المتابعات ، وله شاهد عند ابن ماجه وابن حبان .

(٢) سورة الرعد الآية ٢٨ .

(٣) سورة الفرقان الآيات ٣٢ ، ٣٣ .

(٤) رواه البخارى ومسلم .

فمثل هذا لا يشبع من جهة ويظل ساخطاً وتدعوه نظرتة المريضة هذه إلى الغل والحقْد والحسد بحيث يتمنى زوال النعمة من الآخرين ، ولا يمكن أن يتحقق الشبع وغنى النفس إلا بالنظر لمن هو دونك فهذا يجعلك واقعياً كما ورد في الحديث : [لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضى منها آخر] ^(١) ، فاحذر الخيالية المتلفة ، وهذا يحقق لك الثبات في مواجهة المحن والفتن فعندما جاء خباب بن الأرت إلى رسول الله ﷺ وكان متوسداً بردة في ظل الكعبة ، وقال له : ألا تستنصر لنا ؟ ألا تدعو لنا ؟ فقال ﷺ : [قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد دون لحمه وعظمه ما يصدده ذلك عن دينه ، والله ليتمن الله هذا لأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون] ^(٢) .

والبعض عندما يتطلع لمن هو فوقه في الدنيا ، ويتعدى نصوص الشريعة ويفرط في الصلاة وغيرها ، قد يطلق على ذلك اسم علو الهمة !! وهذا انحطاط وتدنى إذا أتى على حساب الدين ولا بد من تسمية الأشياء باسمها ، فالعملة الزائفة لا تروج على الله ، وقد قال العلماء : إذا رأيت الرجل ينافسك في الدنيا فنافسه في الآخرة ، وإن استعطت لا يسبقك إلى الله أحد فافعل ، وقال عمر : الروية في كل أمر خير ، إلا ما كان من أمر الآخرة ، وفي طلب الدنيا ورد قوله تعالى : ﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ ^(٣) ،

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه البخاري .

(٣) سورة الملك الآية ١٥ .

وقال : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ ^(١) ، أما طلب الآخرة فقال : ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ ^(٢) ، وقال أيضاً : ﴿ لِمَثَلٍ هَذَا فَلَيعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾ ^(٣) ، وقال : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ ^(٤) ، فانظر للفارق بين طلب وطلب وتدبر أمرك ، وانظر لمن هو دونك ، وسل الله من فضله ، يتحقق لك غنى النفس بإذن الله .

تاسعاً : ما خاب من استخار واستبشر الخير فى أخرج لحظاته :

ما خاب من استخار الخالق واستشار المخلوق ، وقد كان النبي ﷺ يعلمهم دعاء الاستخارة كما يعلمهم السورة من القرآن ، كما مر بنا ^(٥) ، وكان ابن عمر رضى الله عنهما يقول : إن العبد ليستخير الله فيخار له ، فيظل يتسخط فلو نظر في العاقبة لوجد أنه قد خير له ، فلا يخرب العبد إذا تعامل مع الله وأوقع حاجته بالله ، والناظر القاصر هو الذى يدعو صاحبه للتشكك فى أمر الله وتسخط قضاءه ، وكأن الأمر يسير وفق أهواء البشر !! وواقع الأمر أن العبد قد لا يحسن النظر تحت قدمه ، فكيف يطلع على الغيب ، ولذلك كان لابد من قناعة ورضى ، فإذا أطلق العبد بصره وفق شرع الله وتحرر من قيود هواه اطمأنت نفسه ووثق بوعده الله ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٦) ،

(١) سورة الفرقان الآية ٦٣ .

(٢) سورة المطففين الآية ٢٦ .

(٣) سورة الصافات الآية ٦١ .

(٤) سورة آل عمران الآية ١٣٣ .

(٥) الحديث رواه البخارى عن جابر وفيه إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل : اللهم إني أستخير بعلملك ... الحديث .

(٦) سورة الروم الآية ٤٧ .

ولم يغتر بالباطل والزيف مهما انتفش لقوله تعالى : ﴿ لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴾ (١) ، ولقوله جل وعلا : ﴿ فَأَمَّا الزُّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ﴾ (٢) ، بل لم يطمئن لما فى يد نفسه ، وكان كما قال أبو حازم عندما سئل عن الزهد : « أن تكون بما فى يد الله أوثق منك بما فى يد نفسك ، وأن يكون حالك فى المصيبة وحالك إذا لم تصب بها سواء ، وأن يكون مادحك وذامك فى الحق سواء » .

إن العبد الذى يستخير الله ويفوض أمره لله تنفتح أمامه أبواب الرجاء والأمل ، مما يحقق له التسلية وغنى النفس ، قال تعالى : ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿ ٦ ﴾ (٣) . وقال تعالى : ﴿ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ (٧) ﴿ ٤ ﴾ .

وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : [واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا] ، فإذا نزل بهذا العبد المصيبة كان له فيها ثلاث نعم كما يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أنها لم تكن بأكبر مما كانت ، وأنها لم تكن كانت فى دينه ، وأنها لا بد كائنة وقد كانت ، فيحمد الله ، ولا يتسخط ، ولا يتشكك فى مشروعية صلاة الاستخارة ، بل إن ضاق به الوقت والحال ، قال : « رب خرلى واخترلى » (٥) ، فيتحقق له بذلك الخير فى العاجل والآجل بإذن الله .

(١) سورة آل عمران الآية ١٩٦ .

(٢) سورة الرعد الآية ١٧ .

(٣) سورة الإنشراح الآيات ٥ ، ٦ .

(٤) سورة الطلاق الآية ٧ .

(٥) رواه الترمذى وضعفه ، ولكن يدخل ضمن معنى الدعاء الذى يكون به العبد على رجاء الإجابة .

عاشراً : فضل الزهد فى الدنيا والحث على التقلل منها وفضل الفقر :

صارت الآمال والطموحات والأهداف مادية طاغية ، انفصل بها الدين عن الدنيا ، والأرض عن السماء وبعض الساعات عن بعض ، وبعض الرجال عن بعض ، كما انفصل بها العلم عن العمل ، والدنيا عن الآخرة ، وعشنا حياة التششت والضيق والحسرة والألم بعيداً عن دين الله ، فقد صارت الدنيا هى كل همنا ومبلغ علمنا ، ولذلك لم يتحقق لنا الشبع ولا غنى النفس .

وإليك هذه النصوص التى أوردها الإمام النووى فى كتابه رياض الصالحين لتكون تذكراً لأولى الأبواب وتوضيحاً لقيمة الزهد ، وفضل الفقر إذا صحابه الإيمان واليقين .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢٤) ، وقال تعالى : ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ (٤٥) الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَّاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ (٤٦) (٢) .

- (١) سورة يونس الآية ٢٤ ، زخرفها وبهجها بألوان النبات ، حصيداً : كالنبات المحصود بالمناجل .
لم تغن : لم تمكث زروعها ولم تقيم .
(٢) سورة الكهف الآيات ٤٥ ، ٤٦ ، هشيماً : يابساً متفتتاً . تذرؤه الرياح : تفرقه وتسفه .
الباقيات الصالحات : أعمال الخير التى تبقى ثمرتها ، ويندرج فيها ما فسرت به من الصلوات الخمس ، وصيام رمضان ، وسبحان الله والحمد لله والله أكبر ، والكلام الطيب .

وقال تعالى : ﴿ اَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ (٢٠) ﴿ (١)

وقال تعالى : ﴿ زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الْمَآبِ ﴾ (١٤) ﴿ (٢)

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ (٥) ﴿ (٣)

وقال تعالى : ﴿ أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ ۚ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۚ ﴾ (٢) ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧) ﴾ (٤)

(١) سورة الحديد الآية ٢٠ : تكاثر : مباحاة وتطاول بالعدد والعدد . أعجب الكفار : أعجب الزراع . يهيج : يمضى إلى أقصى غايته ويبس . يكون حطاماً : فتناً هشيماً متكرساً . ويلاحظ فى الآية التمثيل لهذه الحياة الدنيا العجبية فى سرعة نقصها ، وذهاب نعيمها بعد إقبالها ، واغترار الناس بها ، بزوال خضرة النبات فجأة ، وذهابه حطاماً بعد ما كان غضاً .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٤ : حب الشهوات : المشتبهات بالطبع . القناطر المقنطرة : الأموال الكثيرة والمضاعفة . المسومة : المعلمة . الأنعام : الإبل والبقر والضأن والماعز . الحرث : المزرعات . حسن مأب : أى المرجع الحسن .

(٣) سورة فاطر الآية ٥ : تغرّنكم الحياة : تخدعكم . الغرور : كل ما يغر ويخدع من شيطان وغيره . (٤) سورة التكاثر الآيات ١ - ٥ : ألهاكم : شغلكم عن طاعة ربكم . التكاثر : التباهى بكثرة متاع الدنيا . حتى زرتم المقابر : أى بقيت الدنيا تشغلكم عن الآخرة حتى متم وقبرتم . لو تعلمون علم اليقين : لو تعلمون مآلكم علماً يقيناً ما ألهاكم شئ عن آخرتكم ، ولتزدنتم للآخرة بصالح الأعمال .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (٦٤) (١) .
والآيات في الباب كثيرة مشهورة .

وأما الأحاديث فأكثر من أن تحصر فتنبه بطرف منها على ما سواه .
عن عمرو بن عوف الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه إلى البحرين يأتي بجزيتها ، فقدم بمال من البحرين فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة ، فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ فلما صلى رسول الله ﷺ انصرف فتعرضوا له فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم ، ثم قال : [أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء من البحرين] ؟ فقالوا : أجل يارسول الله ، فقال : [أبشروا وأملوا ما يسركم ، فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم] (٢) « متفق عليه » .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : جلس رسول الله ﷺ على المنبر وجلسنا حوله ، فقال : [إن مما أخاف عليكم من بعدى ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها] (٣) « متفق عليه » .

وعنه أن رسول الله ﷺ قال : [إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله تعالى

(١) سورة العنكبوت الآية « ٦٤ » . لهو ولعب : لذائذ ومتاع زائل وعيب باطل . لهي الحيوان : لهي دار الحياة الدائمة الباقية .

(٢) متفق عليه ، الحديث رواه البخاري في كتاب فرض الخمس « باب الجزية والمواذعة » والجزية والمغازي والرقاق ، واللفظ له ، ومسلم في أوائل كتاب الزهد والرقائق .

(٣) متفق عليه ، الحديث رواه البخاري في الزكاة « باب الصدقة على اليتامى » والجهاد وغيرهما ، ومسلم في الزكاة « باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا » .

مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء [(١)]
 « رواه مسلم » .

وعن أنس رضي الله عنه قال أن النبي ﷺ قال : [اللهم لا عيش إلا عيشُ
 الآخرة] (٢) . « متفق عليه » .

وعنه عن رسول الله ﷺ قال : [يتبع الميت ثلاثة : أهله وماله وعمله ،
 فيرجع اثنان ، ويبقى واحد ، يرجع أهله وماله ، ويبقى عمله] (٣) « متفق
 عليه » .

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : [يُؤْتَى بِأَنعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً ، ثُمَّ يُقَالُ : يَا بَنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا
 قَطُّ ؟ هَلْ مَرَبَّكَ نَعِيمٌ قَطُّ ؟ فيقول : لا والله يارب ! ويؤتى بأشدَّ النَّاسِ
 بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ ، فَيُقَالُ لَهُ : يَا بَنَ آدَمَ
 هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ ؟ هَلْ مَرَبَّكَ شِدَّةٌ قَطُّ ؟ فيقول : لا والله ، ما مر بي
 بُؤْسٌ قَطُّ ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ] (٤) « رواه مسلم » .

وعن المستورد بن شداد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [ما الدنيا في
 الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أُصبعه في اليمِّ فلينظر بم يرجع] (٥) « رواه
 مسلم » .

(١) الحديث رواه مسلم في كتاب الرقائق « باب أكثر أهل الجنة الفقراء » .

(٢) الحديث رواه البخاري في الرقاق والجهاد « باب التحريض على القتال » ومناقب الأنصار والمغازي ،
 ومسلم في الجهاد « باب غزوة الأحزاب وهي الخندق » .

(٣) أخرجه البخاري في الرقاق « باب سكرات الموت » ومسلم في أوائل كتاب الزهد والرقائق .

(٤) الحديث رواه مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار « باب صبغ أنعم أهل الدنيا في النار » .

(٥) الحديث رواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها « باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة » .

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مر بالسوق والناس كَنَفِيهِ ، فمر بجدي أسك ميت ، فتناوله فأخذ بأذنه ، ثم قال : [أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ هَذَا لَهُ بِدَرْهِمٍ ؟] فقالوا : مَا نُحِبُّ أَنْ لَنَا بِشَيْءٍ ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ ؟ ! ثم قال : [أَتُحِبُّونَ أَنْهُ لَكُمْ ؟] قالوا : وَاللَّهِ لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيًّا ، إِنَّهُ أَسْكٌ ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ ! قال : [فَوَاللَّهِ لِلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ] ^(١) « رواه مسلم » . قوله : كَنَفِيهِ : أى عن جانبيه ، والأسك : الصغير الأذن .

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : كنت أمشي مع النبي ﷺ في حَرَّةٍ بالمدينة فاستقبلنا أحد ، فقال : [يَا أَبَا ذَرٍّ] قلت : لبيك يا رسول الله . فقال : [مَا يَسُرُّنِي أَنْ عِنْدِي مِثْلُ أَحَدٍ هَذَا ذَهَبًا تَمْضِي عَلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَعِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ إِلَّا شَيْءَ أَرْصَدُ لِدِينٍ ، إِلَّا أَنْ أَقُولَ بِهِ فِي عِبَادِ اللَّهِ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا] عن يمينه وعن شماله ومن خلفه ثم سار فقال : [إِنْ الْأَكْثَرِينَ هُمْ الْأَقْلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَنْ قَالَ بِالْمَالِ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا] عن يمينه وعن شماله ومن خلفه [وَقَلِيلٌ مَا هُمْ] ! ثم قال لى : [مَكَانَكَ ! لَا تَبْرَحْ حَتَّى آتِيكَ] . ثم انطلق في سواد الليل حتى توارى ، فسمعت صوتاً قد ارتفع فتخوفت أن يكون أحد عرض للنبي ﷺ ، فأردت أن آتيه ، فذكرت قوله : [لَا تَبْرَحْ حَتَّى آتِيكَ] فلم أبرح حتى أتاني فقلت : لقد سمعت صوتاً تخوفت منه ، فذكر له ، فقال : [وَهَلْ سَمِعْتَهُ ؟] قلت : نعم ، قال : [ذَاكَ جَبْرِيلُ أَتَانِي فَقَالَ : مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ] قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : [وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ] ^(٢) « متفق عليه ، وهذا لفظ البخارى » .

(١) رواه مسلم في أول كتاب الزهد والرقائق .

(٢) الحديث رواه البخارى في الرقائق « باب المكثرون هم المقلون » و « باب ما أحب أن لى مثل أحد ذهباً » والاستقراض والاستئذان ، ومسلم في الزكاة « باب الترغيب في الصدقة » .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : [لو كان لى مثل أحد ذهباً لسرني ألا تمرّ علىّ ثلاث ليال وعندي منه شيء إلا شيء أرصدّه لدين] ^(١) « متفق عليه » .

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : [انظروا إلى من هو أسفل منكم ، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم ، فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم] ^(٢) « متفق عليه » .

وفى لفظ مسلم ، وفى رواية البخارى : [إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه فى المال والخلق فليَنظر إلى من هو أسفل منه] .

وعنه عن النبى ﷺ قال : [تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميسة ، إن أعطى رضى ، وإن لم يعط لم يرض] ^(٣) « رواه البخارى » .

وعنه رضي الله عنه قال : [لقد رأيت سبعين من أهل الصُّفّة ، ما منهم رجل عليه رداء: إما إزارٌ وإما كساء ، قد ربطوا فى أعناقهم ، فمنها ما يبلغ نصف الساقين ، ومنها ما يبلغ الكعبين ، فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته] ^(٤) « رواه البخارى » .

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : [الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر] ^(٥) « رواه مسلم » .

(١) الحديث رواه البخارى فى الرقاق « باب المكثرون هم المقلون وغيره » وفى الاستقراض والاستئذان ، ومسلم فى الزكاة « باب الترغيب فى الصدقة » .

(٢) الحديث رواه البخارى فى الرقاق « باب من ينظر إلى من هو أسفل منه » ومسلم فى أوائل كتاب الزهد والرفائق .

(٣) الحديث رواه البخارى فى الجهاد « باب الحراسة » وفى الرقاق .

(٤) الحديث رواه البخارى فى المساجد « باب نوم الرجال فى المسجد » .

(٥) الحديث رواه مسلم فى أوائل كتاب الزهد والرفائق .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال : [كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل] . وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول : « إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك » ^(١) « رواه البخاري » .

قالوا في شرح هذا الحديث : معناه : لا تركز إلى الدنيا ولا تتخذها وطناً ، ولا تحدث نفسك بطول البقاء فيها ، ولا بالاعتناء بها ، ولا تتعلق منها إلا بما يتعلق به الغريب في غير وطنه ، ولا تشتغل فيها بما لا يشتغل به الغريب الذي يريد الذهاب إلى أهله . وبالله التوفيق .

وعن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ذلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبنى الناس ، فقال : [ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس] ^(٢) « حديث حسن رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة » .

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال : ذكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما أصاب الناس من الدنيا ، فقال : [لقد رأيت رسول الله ﷺ يظل اليوم يلتوى ، ما يجد من الدقل ما يملأ به بطنه] ^(٣) « رواه البخاري » . الدقل : بفتح الدال المهملة والقاف : ردئ التمر .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : [توفي رسول الله ﷺ وما في بيتي من شيء يأكله ذو كبدٍ إلا شطر شعير في رفلي ، فأكلت منه حتى طال

(١) الحديث : رواه البخاري في الرقاق « باب قول النبي ﷺ كن في الدنيا ... إلخ » .

(٢) الحديث رواه ابن ماجه في الزهد ، وأخرجه الطبراني في معجمه الكبير ، والحاكم في الرقائق من مستدركه .

(٣) الحديث رواه مسلم في أوائل كتاب الزهد والرقائق .

عليّ ، فكلّته ففَنِي [(١)] رواه البخارى .

قولها : « شَطْرُ شَعِير » : أى شىء من شعير ، كذا فسره الترمذى .

وعن عمرو بن الحارث أخى جويرية بنت الحارث أم المؤمنين رضى الله عنهما قال : ما ترك رسول الله ﷺ عند موته ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا أمةً ولا شيئاً إلا بغلته البيضاء التى كان يركبها ، وسلاحه ، وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة (٢) رواه البخارى .

وعن خباب بن الأرت رضى الله عنه قال : هاجرنا مع رسول الله ﷺ نلتمس وجهه الله تعالى ، فوقع أجرنا على الله ، فمنا من مات ولم يأكل من أجره شيئاً ، منهم مصعب بن عمير رضى الله عنه قُتل يوم أحد ، وترك نمره ، فكنا إذا غطينا بها رأسه بدت رجلاه ، وإذا غطينا بها رجله بدا رأسه ، فأمرنا رسول الله ﷺ أن نغطى رأسه ونجعل على رجله شيئاً من الإذخر ، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها (٣) رواه البخارى .

« النمرة » كساء ملون من صوف ، وقوله : « أينعت » أى نضجت وأدركت وقوله : « يهدبها » هو بفتح الياء وضم الدال وكسرهما لغتان : أى يقطفها ويجتنيها ، وهذه استعارة لما فتح الله تعالى عليهم من الدنيا وتمكنوا فيها .

(١) الحديث رواه البخارى فى الجهاد « باب نفقة نساء النبى ﷺ بعد وفاته » والرقاق « باب فضل الفقر » ، ومسلم فى أوائل كتاب الزهد والرقائق .

(٢) الحديث رواه البخارى فى الوصايا « باب الوصايا » والجهاد « باب بغلة النبى ﷺ البيضاء ، وغيره » والمغازى « باب مرض النبى ﷺ ووفاته » .

(٣) الحديث رواه البخارى فى الجنائز « باب إذا لم يجد كفناً إلا ما يوارى رأسه أو قدميه غطى رأسه » وفى فضائل الصحابة والمغازى والرقاق ، ومسلم فى الجنائز « باب كفن الميت » .

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [لا تتخذوا الضيعة فترغبوا في الدنيا] ^(١) « رواه الترمذی وقال حديث حسن » .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : مر علينا رسول الله ﷺ ونحن نعالج خُصاً لنا ، فقال : [ما هذا ؟] فقلنا : قد وهى ، فنحن نصلحه ، فقال : [ما أرى الأمر إلا أعجل من ذلك] ^(٢) « رواه أبو داود والترمذی بإسناد البخارى ومسلم ، وقال الترمذی : حديث حسن صحيح »

وعن كعب بن عياض رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : [إن لكل أمة فتنة ، وفتنة أمتي : المال] ^(٣) « رواه الترمذی وقال : حديث حسن صحيح » .

وعن أبي عمرو يقال أبو عبد الله ، ويقال أبو ليلى ، عثمان بن عفان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : [ليس لابن آدم حق في سوى هذه الخصال : بيت يسكنه ، وثوب يوارى عورته ، وجلف الخبز ، والماء] ^(٤) .

قال الترمذی : سمعت أبا داود سليمان بن سالم البلخي يقول : سمعت النضر بن شميل يقول : الجلف : الخبز ليس معه إدام ، وقال غيره : هو غليظ الخبز . وقال الهروي : المراد به هنا وعاء الخبز : كالجوالق والخرج ، والله أعلم .

وعن عبد الله بن الشخير « بكسر الشين والخاء المشددة المعجمتين »

-
- (١) الحديث رواه الترمذی في الزهد « باب لا تتخذوا الضيعة فترغبوا في الدنيا » رقم : ٢٣٢٩ .
 (٢) الحديث رواه الترمذی في الزهد رقم ٢٢٣٦ وأبو داود في كتاب الأدب « باب ما جاء في البناء » ومعنى بإسناد البخارى ومسلم ، أى برجال رويا عنهم ، فهو على شرطهما .
 (٣) الحديث رواه الترمذی في الزهد « باب ما جاء أن فتنة هذه الأمة في المال » رقم ٢٣٣٧ .
 (٤) الحديث رواه الترمذی في الزهد « باب ليس لابن آدم حق فيما سوى خصال ثلاث » رقم ٢٣٤٢ .

ﷺ أنه قال : أتيت النبی ﷺ وهو يقرأ ﴿ أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ ﴾ قال : [يقول ابن آدم : مالى مالى ! وهل لك يا بن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفانيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت ؟] ^(١) ، « رواه مسلم » .

وعن عبد الله بن مغفل ﷺ قال : قال رجل للنبي ﷺ يا رسول الله : والله يارسول الله إني لأحبك ، فقال : [انظر ماذا تقول ؟] قال : والله إني لأحبك ، ثلاث مرات ، فقال : [إن كنت تحبني فأعد للفقر تجفافاً ، فإن الفقر أسرع إلى من يحبني من السيل إلى منتهاه] ^(٢) ، « رواه الترمذی وقال حديث حسن » .

« التجفاف : بسكر التاء المثناة فوق وإسكان الجيم وبالفاء المكررة ، وهو شيء يلبسه الفرس ليتقي به الأذى ، وقد يلبسه الإنسان .

وعن كعب بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : [ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه] ^(٣) ، « رواه الترمذی وقال : حديث حسن صحيح » .

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثر في جنبه ، قلنا يارسول الله : لو اتخذنا لك وطاءً ، فقال : [ما لي وللدنيا ؟ ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها] ^(٤) ، « رواه الترمذی وقال حديث صحيح » .

(١) الحديث رواه مسلم في أوائل كتاب الزهد والرقائق .

(٢) الحديث رواه الترمذی في الزهد « باب ما جاء في فضل الفقر » رقم ٢٣٥١ .

(٣) الحديث رواه الترمذی في الزهد « باب ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ » رقم ٢٣٦٧ .

(٤) الحديث رواه الترمذی في الزهد « باب ما أنا في الدنيا إلا كراكب » رقم ٢٣٧٨ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسة مئة عام] ^(١) ، « رواه الترمذى وقال حديث صحيح » .
وعن ابن عباس وعمران بن الحصين رضى الله عنهم عن النبي ﷺ قال :
[اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء ، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء] ^(٢) ، « متفق عليه من رواية ابن عباس ، ورواه البخارى أيضاً من رواية عمران ابن الحصين » .

وعن أسامة بن زيد رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال : [قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين ! وأصحاب الجدد محبوسون ! غير أن أصحاب النار قد أمر بهم إلى النار] ^(٣) ، « متفق عليه » .
« والجدة » : الحظ والغنى .

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : [أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد : ألا كل شيء ما خلا الله باطل] ^(٤) ، « متفق عليه » .

-
- (١) الحديث رواه الترمذى فى الزهد « باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم » رقم ٢٣٥٢ .
(٢) الحديث رواه البخارى فى بدء الخلق « باب ما جاء فى صفة الجنة » وفى النكاح والرقاق ، ومسلم فى كتاب الرقاق « باب أكثر أهل الجنة الفقراء » .
(٣) الحديث رواه البخارى فى النكاح « باب لا تأذن المرأة فى بيت زوجها إلا بإذنه » والرقاق ، ومسلم فى أول كتاب الرقاق « باب أكثر أهل الجنة الفقراء » .
(٤) الحديث رواه البخارى فى المناقب « باب أيام الجاهلية » وفى الأدب والرقاق وغيرهما ، ومسلم فى كتاب الشعر .

الحادى عشر : فضل الجوع وخشونة العيش :

قال الله تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا (٥٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا (٦٠) ﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ (٢)

وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ النَّعِيمَ (٨) ﴾ (٣) . وقال تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا (١٨) ﴾ (٤)

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : [ما شبع آل محمد ﷺ من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض !] (٥) ، وفي رواية : [ما شبع آل محمد

(١) سورة مريم الآيات ٥٩ ، ٦٠ . خلف : يسكون اللام ، تستعمل فى العقب السوء ، ويفتح اللام فى الصالح ، يقال : خلف صدق ، وخلف سوء . غيا : شرا .

(٢) سورة القصص الآيات ٧٩ ، ٨٠ . لذو حظ عظيم : صاحب غنى كبير . أوتوا العلم : أى العلم النافع ، وهو العلم بأحوال الآخرة وما أعد الله لصالحي عباده ، ويلكم : دعاء بالهلاك ، استعمل للزجر عما لا يرتضى .

(٣) سورة التكاثر الآية ٨ . عن النعيم : أى لتسألن عن النعيم الذى ألهاكم عن دين الله ، وقيل : عن كل نعيم .

(٤) سورة الإسراء الآية ١٨ . العاجلة : الدنيا ونعيمها . عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد : قيل المعجل والمعجل له بالمشيئة والإرادة ، لأنه لا يجد كل متمن متمناه ، ولا كل واحد جميع ما يهواه ، وليعلم أن الأمر بمشيئة الله ، يصلها : يدخلها ويقاسى حرها . مدحوراً : مطروداً من رحمة الله تعالى .

(٥) الحديث رواه البخارى فى كتاب الأطعمة « باب ما كان النبى ﷺ وأصحابه يأكلون » والرقاق « باب كيف كان عيش النبى ﷺ وأصحابه » ومسلم فى أوائل كتاب الزهد والرقاق .

ﷺ منذ قدم المدينة من طعام البر ثلاث ليالٍ تباعاً حتى قبض .
وعن عروة عن عائشة رضى الله عنها أنها كانت تقول : [والله يا ابن
أختي ، إن كنا ننظر إلى الهلال ، ثم الهلال ، ثم الهلال : ثلاثة أهلة في
شهرين وما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ ناراً !] قلت : يا خالة فما كان
يعيشكم ؟ [قالت : الأسودان : التمر والماء ، إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ
جيران من الأنصار ، وكانت لهم منايح ، وكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ
من ألبانها فيسقينها] ^(١) ، « متفق عليه » .

وعن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه مر بقوم بين أيديهم شاة
مصلية فدعوه فأبى أن يأكل ، وقال : [خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم
يشبع من خبز الشعير] ^(٢) . « رواه البخارى » مصلية بفتح الميم : أى مشوية .
وعن أنس رضى الله عنه قال : [لم يأكل النبي ﷺ على خوان حتى مات ، وما
أكل خبزاً مرققاً حتى مات] ^(٣) ، « رواه البخارى » وفى رواية له : [ولا رأى
شاة سميطاً بعينه قط] .

وعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال : لقد رأيت نبيكم ﷺ وما
يجد من الدقل ما يملأ به بطنه [^(٤) ، « رواه مسلم » الدقل : تمر ردى .

(١) الحديث رواه البخارى فى فاتحة كتاب الهبة وفى الرقاق « باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه » ومسلم فى أوائل كتاب الزهد والرقائق .

(٢) الحديث رواه البخارى فى الأطعمة « باب ما كان للنبي ﷺ وأصحابه يأكلون » .

(٣) الحديث رواه البخارى فى الأطعمة « باب الخبز المرقق والأكل على الخوان والشفرة » و « باب ما كان النبي ﷺ وأصحابه يأكلون » ، والرواية الأخرى فى الرقاق « باب فضل الفقر » ، و « باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه » .

(٤) الحديث رواه مسلم فى أوائل كتاب الزهد والرقائق .

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : ما رأى رسول الله ﷺ النقي من حين ابتعثه الله تعالى حتى قبضه الله تعالى . ف قيل له : هل كان لكم في عهد رسول الله ﷺ مناخِل ؟ قال : ما رأى رسول الله ﷺ مُنْخَلاً من حين ابتعثه الله تعالى حتى قبضه الله تعالى . ف قيل له : كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول ؟ قال : كنا نطحنه وننفخه فيطير ما طار وما بقي ثريناه [^(١)] ، «رواه البخارى» .

قوله : النقي : هو بفتح النون وكسر القاف وتشديد الياء : وهو الخبز الحواري ، وهو الدُّرمك . قوله : ثريناه : هو بشاء مثالية ثم راء مشددة ثم ياء مثناه من تحت ، ثم نون : أى بللناه وعجنناه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أول ليلة فإذا هو بأبى بكر وعمر رضى الله عنهما فقال : [ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة ؟] قالا : الجوع يا رسول الله ﷺ . قال : [وأنا والذي نفسى بيده لأخرجنى الذى أخرجكما ! قوما] ، فقاما فأتى رجلاً من الأنصار فإذا هو ليس فى بيته ، فلما رآته المرأة قالت : مرحباً وأهلاً . فقال رسول الله ﷺ : [أين فلان ؟] قالت : ذهب يستعذب لنا الماء . إذا جاء الأنصارى ، فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه ، ثم قال : الحمد لله ، ما أحد اليوم أكرم أضيافاً منى ، فانطلق فجاءهم بعذق فيه بُسرٍ وتمرٍ ورطبٍ فقال : كلوا . وأخذ المديّة ، فقال له رسول الله ﷺ : [إياك والحلوب] ، فذبح لهم ، فأكلوا من الشاة ، ومن ذلك العذق ، وشربوا ، فما أن شبعوا ورووا قال رسول الله ﷺ لأبى بكر

(١) الحديث رواه البخارى فى الأطعمة « باب النفخ فى الشعير » وباب « ما كان للنبي ﷺ وأصحابه يأكلون » .

وعمر رضى الله عنهما : [والذى نفسى بيده لتُسألن عن هذا النعيم يوم القيامة ! أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم] ^(١) . « رواه مسلم » .

قولها : يستعذب : أى يطلب الماء العذب وهو الطيب . والعذق : بكسر العين وإسكان الدال المعجمة ، وهو الكباسة وهى الغصن ، والمُدِيَّة بضم الميم وكسرهما هى السكين ، والحلوب : ذات اللبن ، والسؤال عن هذا النعيم سؤال تعديد النعم لا سؤال توبيخ وتعذيب ، والله أعلم .

وهذا الأنصارى الذى أتوه هو أبو الهيثم بن التيهان ، كذا جاء مبيناً فى رواية الترمذى وغيره .

وعن خالد بن عمر العدوى قال : خطبنا عتبة بن غزوان - وكان أميراً على البصرة - فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فإن الدنيا قد آذنت بصرم ، وولت حذاءً ، ولم يبق منها إلا صُباة كصُباة الإناء يتصأبها صاحبها ! وإنكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها ، فانتقلوا بخير ما بحضرتكم ، فإنه قد ذكر لنا أن الحجر يلقى من شفير جهنم ، فيهورى فيها سبعين عاماً لا يدرك لها قعرأ ! والله لتملأن ! أفعجبتم ؟ ولقد ذكر لنا أن ما بين مصرعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عاماً ، وليأتين عليها يوم وهو كظيظ من الزحام . ولقد رأيتنى سابع سبعة مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا ورق الشجر ، حتى قرحت أشداقنا فالتقطت بردة ، فشققتها بينى وبين سعد بن مالك ، فأنزرت بنصفها

(١) الحديث رواه مسلم فى كتاب الأشربة « باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك » .

وأُتِزَّ سعد بنصفها ، فما أصبح اليوم منا أحدٌ إلا أصبح أميراً على مصرٍ من الأمصار ، وإنى أعوذ بالله أن أكون فى نفسى عظيماً ، وعند الله صغيراً [(١)] ، «رواه مسلم» .

قوله : أَذَنْتُ هو بـمـد الألف : أى أعلمتُ ، وقوله : بِصَرْمٍ هو بضم الصاد : أى بانقطاعها وفنائها . « وولتَ حَدَاءً » هو بحاء مهملة مفتوحة ، ثم ذال معجمة مشددة ، ثم ألف ممدودة : أى سريعة . « والصُّبَابَةُ » بضم الصاد المهملة - البقية اليسيرة . وقوله : يتصائبها هو بتشديد الباء قبل الهاء : أى يجمعها . و الكَظِيطُ : الكثير الممتلئ . وقوله : قَرِحَتْ هو بفتح القاف وكسر الراء : أى صارت فيها قروح .

وعن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه قال : [أخرجت لنا عائشة رضى الله عنها كساءً وازاراً غليظاً . قالت : قُبِضَ رسول الله ﷺ فى هذين] (٢) ، « متفق عليه » .

وعن سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه قال : [إبنى لأول العرب رمى بسهم فى سبيل الله ، ولقد كنا نغزو مع رسول الله ﷺ ما لنا طعامٌ إلا ورق الحَبَلَةِ وهذا السَّمَرُ حتى إن كان أحدنا ليضع كما تضع الشاة ، ما له خَلَطٌ] (٣) ، « متفق عليه » .

(١) الحديث رواه مسلم فى أوائل كتاب الزهد والرفائق .

(٢) الحديث رواه البخارى فى الجهاد « باب ما ذكر من ورع النبى ﷺ وعصاة وسيفه » واللباس « باب الأكسية والخمائن » ومسلم فى اللباس « باب التواضع فى اللباس » .

(٣) الحديث رواه البخارى فى فضائل الصحابة « باب مناقب سعد بن أبى وقاص » وفى الأطعمة « باب ما كان النبى ﷺ وأصحابه يأكلون » وفى الرقاق « باب كيف كان عيش النبى ﷺ » ومسلم فى أوائل كتاب الزهد والرفائق .

الْجُبَلَة : بضم الحاء المهملة وإسكان الباء الموحدة ، وهى والسمر نوعان معروفان من شجر البادية .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ [اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً] ^(١) ، « متفق عليه » .

قال أهل اللغة والغريب : معنى قوتاً : أى ما يسدُّ الرمق .

وعن أبى هريرة قال : والله الذى لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد بكبدى على الأرض من الجوع ، وإن كنت لأشدُّ الحجر على بطنى من الجوع ، ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذى يخرجون منه ، فمر بى النبى ﷺ فتبسم حين رآنى ، وعرف ما فى وجهى وما فى نفسى ، ثم قال : [أبا هر] ، قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : [الحق] ، ومضى فاتبعته ، فدخل فاستأذن فأذن لى فدخلت ، فوجد لبناً فى قدح ، فقال : [من أين هذا اللبن ؟] قالوا : أهده لك فلان - أو فلانة - قال : [أبا هر] ، قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : [الحق إلى أهل الصفة فادعهم لى] ، قال : وأهل الصفة أضياف الإسلام ، لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد ، وكان إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ، ولم يتناول منها شيئاً ، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها . فسأنى ذلك ، فقلت : وما هذا اللبن فى أهل الصفة ! كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها ، فإذا جاؤوا أمرنى فكنت أنا أعطيهم ، وما عسى أن يبلغنى من هذا اللبن ! ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسول الله ﷺ بد . فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا واستأذنوا ، فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت ،

(١) الحديث رواه البخارى فى كتاب الرقاق « باب كيف كان عيش النبى ﷺ » ومسلم فى كتاب أوائل كتاب الزهد والرقائق .

قال : [أبا هر] ، قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : [خذ فأعطهم] ، قال : فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ثم يردُّ على القدح فأعطيه الآخر فيشرب حتى يروى ، ثم يردُّ على القدح حتى انتهيت إلى النبي ﷺ ، وقد روى القوم كلهم ، فأخذ القدح فوضعه على يده فنظر إلي فتبسم فقال : [أبا هر] قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : [بقيت أنا وأنت] ، قلت : صدقت يا رسول الله ﷺ ، قال : [اقعد فاشرب] فقعدت فشربت . فقال : [اشرب] ، فشربت ، فما زال يقول : [اشرب] حتى قلت : لا والذي بعثك بالحق لا أجد له مسلماً ، قال : [فأرني] ، فأعطيته القدح ، فحمد الله تعالى وسمى وشرب الفضلة [(١)] ، « رواه البخاري » .

وعن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : [لقد رأيتني واني لأخترُ فيما بين منبر رسول الله ﷺ إلى حُجرة عائشة رضي الله عنها مغشياً عليّ ، فيجىء الجائي فيضع رجله على عنقي ويرى أنني مجنونٌ ، وما بي من جنونٍ ، ما بي إلا الجوع] [(٢)] ، « رواه البخاري » .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : [توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونةٌ عند يهوديٍّ في ثلاثين صاعاً من شعير] [(٣)] ، « متفق عليه » .

وعن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : [رهن النبي ﷺ درعه بشعير ، ومشيتُ إلى النبي ﷺ بخبز شعير وإهالة سنحة ، ولقد سمعته يقول : [ما أصبح لآل محمدٍ

(١) الحديث رواه البخاري في الرقاق « باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه » .

(٢) الحديث رواه البخاري في كتاب الاعتصام « باب ما ذكر النبي ﷺ وحضر على اتفاق أهل العلم وما أجمع عليه الحرمان » .

(٣) الحديث رواه البخاري في كتاب الجهاد « باب ما قيل في درع النبي ﷺ والمغازي ، ومسلم في البيوع » باب الرهن وجوازه في الحضر كالسكر « بلفظ آخر .

صاعٌ ولا أمسى ، وإنهم لتسعة أبيات [^(١)] ، « رواه البخارى » .
 « الإهالة » : بكسر الهمزة : الشحم الذائب ، والسِّنخةُ : بالنون والخاء
 المعجمة وهى المتغيرة .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : [لقد رأيت سبعين من أهل الصُّفة ما منهم
 رجل عليه رداءٌ إما إزارٌ وإما كساءٌ ، قد ربطوا فى أعناقهم ، منها ما يبلغ
 نصف الساقين ، ومنها ما يبلغ الكعنين ، فيجمعه بيده كراهية أن ترى
 عورته] ^(٢) ، « رواه البخارى » .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : [كان فراشُ رسول الله ﷺ من آدم
 حشوه ليف] ^(٣) ، « رواه البخارى » .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كُنَّا جلوساً مع رسول الله ﷺ إذ
 جاء رجلٌ من الأنصار فسلم عليه ، ثم أدبر الأنصارى ، فقال رسول الله ﷺ :
 [يا أبا الأنصار ، كيف أخى سعد بن عبادة ؟] فقال : صالح ، فقال رسول
 الله ﷺ : [من يعودُه منكم ؟] ، فقام وقمنا معه ونحن بضعة عشر ما علينا
 نعال ولا خفاف ولا قلائس ، ولا قمص ، نمشى فى تلك السِّباح حتى جئناه ،
 فاستأخر قومه من حوله حتى دنا رسول الله ﷺ وأصحابه الذين معه [^(٤)] ،
 « رواه مسلم » .

وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال : [خيركم

(١) الحديث رواه البخارى فى البيوع « باب شراء النبى ﷺ بالنسيئة » والرهن « باب الرهن فى الحضر »

(٢) الحديث رواه البخارى فى أبواب المساجد « باب نوم الرجال فى المسجد » .

(٣) الحديث رواه البخارى فى الرقاق « باب كيف كان عيش النبى ﷺ وأصحابه » .

(٤) الحديث رواه مسلم فى الجنائز « باب عيادة المرضى » .

قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم] ، قال عمران : فما أدرى قال
النبي ﷺ مرتين أو ثلاثاً ، [ثم يكون بعدهم قوم يشهدون ولا
يستشهدون ، ويخونون ، ولا يؤثمنون ، ويندرون ، ولا يوفون ، ويظهر
فيهم السمنُ] ^(١) ، « متفق عليه » .

وعن أبى أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [يا بن آدم إنك إن
تبذل الفضل خير لك وإن تمسكه شر لك ، ولا تلام على كفافٍ ، وابدأ
بمن تعمل] ^(٢) ، « رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح » .

وعن عبيد الله بن حصن الأنصارى الخطمى رضي الله عنه قال : قال رسول الله
ﷺ : [من أصبح منكم آمناً في سربه ، معافى في جسده ، عنده قوت
يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها] ^(٣) ، « رواه الترمذى وقال :
حديث حسن » .

« سِرِّه » : بكسر السين المهملة : أى نفسه ، وقيل : قومه .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ
قال : [لقد أفلح من أسلم ، وكان رزقه كفافاً وقنعه الله بما آتاه] ^(٤) ،
« رواه مسلم » .

وعن أبى محمد فضالة بن عبيد الأنصارى رضي الله عنه أنه سمع رسول الله

(١) الحديث رواه البخارى فى الشهادات « باب لاى شهد على شهادة جور » وفضل الصحابة ،

ومسلم فى فضائل الصحابة « باب أفضل الصحابة ثم الذين يلونهم » .

(٢) الحديث رواه الترمذى فى كتاب الزهد « باب اليد العليا خير من اليد السفلى » رقم ٢٣٤٤ .

(٣) الحديث رواه الترمذى فى كتاب الزهد « باب من بات آمناً فى سربه » رقم ٢٣٤٧ .

(٤) الحديث رواه مسلم فى كتاب الزكاة « باب فى الكفاة والقناعة » .

يقول : [طوبى لمن هُدِيَ للإسلام وكان عيشه كفافاً ، وقنع] ^(١) ،
 « رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح » .

وعن ابن العباس رضى الله عنهما قال : [كان رسول الله ﷺ يبيت الليالى المتتابعة طاوياً ، وأهله لا يجدون عشاءً ، وكان أكثر خبزهم خبز الشعير] ^(٢) ،
 « رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح » .

وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى بالناس يخرُّ رجال من قامتهم فى الصلاة من الخصاصة - وهم أصحاب الصفة - حتى يقول الأعراب : هؤلاء مجانين ! فإذا صلى رسول الله ﷺ انصرف إليهم فقال : [لو تعلمون ما لكم عند الله تعالى لأحببتم أن تزدادوا فاقة وحاجة] ^(٣) ،
 « رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح » .

« الخصاصة » : الفاقة والجوع الشديد .

وعن أبى كريمة المقداد بن معد يكرب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : [ما ملأ آدمى وعاء شراً من بطنه . بحسب ابن آدم أكالات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة فثلثُ ل طعامه ، وثلثُ لشرا به ، وثلثُ لنفسه] ^(٤) ،
 « رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح » .

وعن أبى أمامة إياس بن ثعلبة الأنصارى الحارثى رضي الله عنه قال : ذكر أصحاب رسول الله ﷺ يوماً عنده الدنيا ، فقال رسول الله ﷺ : [ألا تسمعون ؟ ألا

(١) الحديث رواه الترمذى فى كتاب الزهد « باب ما جاء فى الكفاف » رقم ٢٣٥٠ .

(٢) الحديث رواه الترمذى فى كتاب الزهد « باب ما جاء فى معيشة النبى ﷺ » رقم ٢٣٦١ .

(٣) الحديث رواه الترمذى فى الزهد « باب ما جاء فى معيشة أصحاب النبى ﷺ » رقم ٣٣٦٩ .

(٤) الحديث رواه الترمذى فى أبواب الزهد « باب ما جاء فى كراهية كثرة الأكل » رقم ٢٣٨١ .

تسمعون ؟ إن البذاذة من الإيمان ، إن البذاذة من الإيمان [(١)] ، يعنى التَّقَحُّلُ . « رواه أبو داود » .

« البذاذة » : بالباء الموحدة والذالين المعجمتين ، وهى رثاءُ الهيئة وترك فاخر اللباس ، وأما « التَّقَحُّلُ » : فبالقاف والخاء ؛ قال أهل اللغة : المُتَحَلُّ هو الرجل اليباس الجلد من خشونة العيش وترك الترفه .

وعن أبى عبد الله جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : بعثنا رسول الله ﷺ وأمر علينا أبا عبيدة رضى الله عنه نتلقى عيراً لقريش ، وزودنا جرأباً من تمر لم يجد لنا غيره . فكان أبو عبيدة يعطينا تمرّة تمرّة . فقيل : كيف كنتم تصنعون بها ؟ قال : نمصّها كما يمص الصبى ، ثم نشرب عليها من الماء ، فتكفينا يومنا إلى الليل ، وكنا نضرب بعصينا الخبط ثم نبلّه بالماء فنأكله . قال : وانطلقنا إلى ساحل البحر فرفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكتيب الضخم ، فأتيناه فإذا هى دابة تدعى العنبر ، فقال أبو عبيدة : ميتة : ثم قال : لا ، بل نحن رسل رسول الله ﷺ وفى سبيل الله ، وقد اضطررتم فكلوا ، فأقمنا عليه شهراً ونحن ثلاث مئة حتى سمنا . ولقد رأيتنا نغترف من وقب عينه بالقلال الدهن ، ونقطع منه القدر كالثور أو كقدر الثور ، ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاث عشرة رجل فأقعدهم فى وقب عينه ، وأخذ ضلعاً من أضلاعه فأقامها ، ثم رحل أعظم بعير معنا ، فمر من تحتها وتزودنا من لحمه وشائق ، فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك له ، فقال : [هو رزق أخرجه الله لكم ، فهل معكم من لحمه شيء فتطعمونا ؟] فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ منه فأكله [(٢)] ، « رواه مسلم » .

(١) الحديث رواه أبو داود فى أول كتاب الترجل .

(٢) الحديث رواه مسلم فى كتاب الصيد القافلة من الجمال التى تحمل الطعام العنبر : سمة يبلغ طولها خمسون ذراعاً .

« الْجَرَابُ » : وعاءٌ من جلدٍ معروفٌ ، وهو بكسر الجيم وفتحها ، والكسر أفصح . قوله : « نَمَصُّهَا » بفتح الميم . « والخبط » ورق شجر معروف تأكله الإبل . « والكثيبُ » التلُّ من الرمل . « والوقْبُ » بفتح الواو وإسكان القاف ، وبعدها باءٌ موحدة ، وهو نقرة العين . « والقِلَالُ » : الجِرَارُ . « والفَدْرُ » بكسر الفاء وفتح الدال : القطعُ . « رَحَلَ البعيرُ » بتخفيف الحاء : أى جعل عليه الرَّحْلَ . « الوشائِقُ » بالشين المعجمة والقاف : اللحم الذى اقتطع ليقَدَّدَ منه ، والله أعلم .

وعن أسماء بنت يزيد رضى الله عنها قالت : [كان كم قميص رسول الله ﷺ إلى الرُّصْغِ] ^(١) ، « رواه الترمذى ، وقال حديث حسن » .
« الرُّصْغِ » بالصاد ، والرسغ بالسين أيضاً : هو المفصل بين الكفِّ والساعد .

وعن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال : [إنا كنا يوم الخندق نحفرُ ، فعرضت كُدِيَّةٌ شديدة ، فجاءوا إلى النبي ﷺ فقالوا : هذه كُدِيَّة عرضت فى الخندق ، فقال : [أنا نازلٌ] ثم قام ويطنه معصوبٌ بحجر ، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقاً ، فأخذ النبي ﷺ المَعْوَلَ فضرب فعاد كَثِيباً أَهَيْلَ أَوْ أَهَيْمَ ، فقلت يارسول الله : ائذن لى إلى البيت ، فقلت لإمرأتى : رأيت بالنبي ﷺ شيئاً ، ما فى ذلك صبر ، فعندك شيء ؟ فقالت : عندى شعير وعناق ، فذبحت العناق وطحنت الشعير ، حتى جعلنا اللحم فى البرمة ، ثم جئت النبي ﷺ والعجين قد انكسر ، والبرمة بين الأثافي قد كادت تنضجُ ، فقلت : طعيم لى ، فقم أنت يارسول الله

(١) رواه أبو داود فى كتاب اللباس « باب ما جاء فى القميص » والترمذى فى كتاب اللباس « باب ما جاء فى القميص » رقم ١٧٦٥ .

وَرَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ . قَالَ : [كَمْ هُوَ ؟] فَذَكَرْتُ لَهُ ، فَقَالَ : [كَثِيرٌ طَيِّبٌ ، قُلْ لَهَا لَا تَنْزِعِ الْبُرْمَةَ وَلَا اخْطُبِزْ مِنَ التَّنُورِ حَتَّى آتَى] فَقَالَ : [قَوْمُوا] فَقَامَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهَا فَقُلْتُ : وَيْحَكَ ، قَدْ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ وَالْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ وَمَنْ مَعَهُمْ ، قَالَتْ : هَلْ سَأَلْتُكَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : [ادْخُلُوا وَلَا تَضَاغُطُوا] فَجَعَلَ يَكْسِرُ الْخُبْزَ وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ وَيَخْمُرُ الْبُرْمَةَ ، وَالتَّنُورَ إِذَا أَخَذَ مِنْهُ ، وَيَقْرُبُ إِلَى أَصْحَابِهِ ثُمَّ يَنْزِعُ ، فَلَمْ يَزَلْ يَكْسِرُ وَيَغْرِفُ حَتَّى شَبِعُوا وَبَقِيَ مِنْهُ ، فَقَالَ : [كُلِّي هَذَا وَاهْدِي فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ] ^(١) ، « متفق عليه » .

وفى رواية : قال جابر : [لما حُفِرَ الْخَنْدُقُ رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ خَمْصًا ، فَاَنْكَفَأْتُ إِلَى امْرَأَتِي فَقُلْتُ : هَلْ عِنْدِي شَيْءٌ ؟ فَإِنِّي رَأَيْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَمْصًا شَدِيدًا ، فَأَخْرَجْتُ إِلَيَّ جَرَابًا فِيهِ صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ ، وَلَنَا بُهَيْمَةٌ دَاخِنٌ فَذَبَحْتُهَا ، وَطَحَنْتُ الشَّعِيرَ فَفَرَّغْتُ إِلَى فِرَاقِي ، وَقَطَعْتُهَا فِي بُرْمَتِهَا ثُمَّ وَلَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ : لَا تَفْضُحْنِي بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ ، فَجِئْتُ فَسَارَرْتُهُ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنَا ، وَطَحَنْتُ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ ، فَتَعَالَ أَنْتَ وَنَفَرٌ مَعَكَ ، فَصَاحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : [يَا أَهْلَ الْخَنْدُقِ ، إِنْ جَابِرًا قَدْ صَنَعَ سُورًا فَحِيهَلًا بِكُمْ] فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : [لَا تُنْزِلَنَّ بُرْمَتَكُمْ ، وَلَا تَخْبِزْنَ عَجِينَكُمْ حَتَّى أَجِيءَ] ، فَجِئْتُ وَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْدُمُ النَّاسَ حَتَّى جِئْتُ امْرَأَتِي فَقَالَتْ : بِكَ وَبِكَ ! فَقُلْتُ : قَدْ فَعَلْتُ الَّذِي قُلْتَ ، فَأَخْرَجْتُ

(١) الحديث رواه البخاري في المغازي « باب غزوة الخندق » ومسلم في كتاب الأشربة « باب جواز استباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك » .

عجیناً فیسق فیہ وبارک ، ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارک ، ثم قال : [ادعی خابزةً فلتخبز معک ، واقدحی من برمتکم ولا تنزلوها] ، وهم ألفٌ ، فأقسم بالله لأکلوا حتی ترکوه وانحرفوا وإن برمتنا لتغط كما هی ، وإن عجیننا لیخبز كما هو] .

قوله : « عرضت کُدیةً » : بضم الکاف وإسکان الدال وبالياء المثناة تحت : وهی قطعة غليظة صلبة من الأرض لا يعمل فیها الفأس . و« الکثیبُ » : أصله تل الرمل ، والمراد هنا صارت تراباً ناعماً ، وهو معنی « أهیل » . و« الأثافيُّ » : الأحجار التي تكون علیها القدر ، و« تضاعطوا » تراحموا . و« المجاعة » : الجوع ، وهو بفتح المیم . و« الخمصُ » بفتح الخاء المجمة والمیم : الجوع . و« انكفأتُ » : انقلبت ورجعت . و« البهیمة » بضم الباء تصغیر بهمه وهی العناق بفتح العين ، والداجن هی التي ألقت البيت . و« السورُ » : الطعام الذي يدعی الناس إليه ؛ وهو بالفارسية . و« حیهاً » : أى تعالوا . وقولها : « بِكَ بِكَ » أى خاصمته وسبته ، لأنها اعتقدت أن الذي عندها لا يكفيهم ، فاستحيت وخفى علیها ما أكرم الله سبحانه وتعالى به نبيه ﷺ من هذه المعجزة الظاهرة ، والآية الباهرة . « بَسَقَ » : أى بصق ؛ ويقال أيضاً : بَزَقَ - ثلاث لغات - . « وعمد » بفتح المیم : أى قصد . و« أقدحی » : أى اغرفی ؛ والمقدحة : المغرفة ، و« تغطُّ » أى لغلينها صوتٌ ، والله أعلم .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال أبو طلحة لأم سليم : قد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفاً أعرف فیہ الجوع ، فهل عندك من شيء ؟ فقالت : نعم ، فأخرجت أقراصاً من شعير ، ثم أخذت خماراً لها ، فلفت الخبز ببعضه ، ثم

دسته تحت ثوبی وردتنی ببعضه ، ثم أرسلتنی إلى رسول الله ﷺ فذهبت به فوجدت رسول الله ﷺ جالساً في المسجد ومعه الناس ، فقامت عليهم ، فقال رسول الله ﷺ : [أرسلك أبو طلحة ؟] فقلت : نعم ، فقال : [الطعام ؟] ، فقلت نعم ، فقال رسول الله ﷺ : [قوموا] فانطلقوا وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة ، فأخبرته ، فقال أبو طلحة : يا أم سليم ، قد جاء رسول الله ﷺ بالناس وليس عندنا ما نطعمهم ؟ فقالت : الله ورسوله أعلم ، فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ فأقبل رسول الله ﷺ معه حتى دخلا ، فقال رسول الله ﷺ : [هلمى ، ما عندك يا أم سليم] ، فأنت بذلك الخبز فأمر به رسول الله ﷺ ففُتَّ وعصرت عليه أم سليم عَكَّةً فأدمته ، ثم قال فيه رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقول ، ثم قال : [ائذن لعشرة] فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ، ثم قال : [ائذن لعشرة] ، فأذن لهم فأكلوا ثم خرجوا . ثم قال : [ائذن لعشرة] حتى أكل القوم كلهم وشبعوا ، والقوم سبعون رجلاً أو ثمانون [، متفق عليه] .

وفى رواية : [فما زال يدخل عشرة ويخرج عشرة حتى لم يبق منهم أحد إلا دخل فأكل حتى شبع ، ثم هيأها فإذا هي مثلها حين أكلوا منها ،] .

وفى رواية : [فأكلوا عشرة عشرة ، حتى فعل ذلك بثمانين رجلاً ، ثم أكل النبي ﷺ بعد ذلك وأهل البيت ، وتركوا سوراً] .

وفى رواية : [ثم أفضلوا ما بلغوا جيرانهم] .

وفى رواية عن أنس رضي الله عنه قال : جئت رسول الله ﷺ يوماً فوجدته جالساً مع أصحابه ، وقد عصب بطنه بعصاية ، فقلت لبعض أصحابه : لم عصب

رسول الله ﷺ بطنه ؟ فقالوا : من الجوع ، فذهبت إلى طلحة - وهو زوج أم سليم بنت ملحان - فقلت : يا أبتاه قد رأيت رسول الله ﷺ عصب بطنه بعصاية ، فسألت بعض أصحابه ، فقالوا : من الجوع . فدخل أبو طلحة على أمي فقال : هل من شيء ؟ قالت : نعم ، عندي كسر من خبز وتمرات ، فإن جاءنا رسول الله ﷺ وحده أشبعناه ، وإن جاء آخر معه قل عنهم ، وذكر تمام الحديث [(١)] .

الثاني عشر : القناعة والعفاف والاقتصاد في المعيشة :

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ (٢) .
وقال تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ (٣) .
وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ (٦٧) (٤) .

(١) الحديث رواه البخاري في الأنبياء « باب علامات النبوة في الإسلام » وفي المساجد والأطعمة والأيمان والندور ، ومسلم في الأشربة « باب جواز استباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك » .
(٢) سورة هود الآية « ٦ » . دابة : كل ما يذهب على الأرض ، والمراد : جميع الحيوان الذي يحتاج إلى رزق .

(٣) سورة البقرة الآية « ٢٧٣ » . للفقراء : أي الصدقات للفقراء ، احصروا : حبسوا أنفسهم للجهاد ، ضرباً في الأرض : سفرًا للتجارة . الجاهل : أي الذي يجهل حالهم . التعفف : عدم السؤال . سيماهم : ما يظهر عليهم من أثر الجهد والضييق . إلحافاً : إلحاحاً ، والمراد كما هو ظاهر من سياق الآية لا يسألون أبداً .

(٤) سورة الفرقان الآية « ٦٧ » يسرفوا : يفرطوا في الإسراف ، وهو الإفراط في المباحات . يقتروا : يضيّقوا في النفقة . قواماً : وسطاً واعتدالاً كل بحسب طاقته وعياله .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴿ (٥٧) ﴿ (١)

وأما الأحاديث :

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : [ليس الغنى عن كثرة العرض ، ولكن الغنى غنى النفس] (٢) . « متفق عليه » .

« العرض » : بفتح العين والراء : هو المال .

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : [قد أفلح من سلم ، ورزق كفافاً ، وقنعه الله بما آتاه] (٣) . « رواه مسلم » .

وعن حكيم بن حزان رضي الله عنه قال : سألت رسول الله ﷺ فأعطاني ، ثم سألته فأعطاني ، ثم سألته فأعطاني ، ثم قال : [يا حكيم ، إن هذا المال خضرٌ حلوٌ : فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه ، وكان كالذي يأكل ولا يشبع ، واليد العليا خير من اليد السفلى] ، قال حكيم : فقلت : يا رسول الله ، والذي بعثك بالحق لا أرزأُ أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا . فكان أبو بكر رضي الله عنه يدعو حكيماً ليعطيه العطاء فيأبى أن يقبل منه شيئاً ؛ ثم إن عمر رضي الله عنه دعاه ليعطيه فأبى أن يقبله ، فقال : يا معشر المسلمين أشهدكم على حكيم أنى أعرض عليه حقه الذي قسمه الله له في هذا الفىء ، فيأبى أن يأخذه ، فلم يرزأُ حكيم أحداً من الناس

(١) سورة الذاريات الآيات ٥٦ ، ٥٧ .

(٢) الحديث رواه البخارى فى كتاب الرقاق « باب الغنى غنى النفس » ومسلم فى الزكاة « باب ليس الغنى عن كثرة العرض » .

(٣) الحديث رواه مسلم فى الزكاة « باب الكفاف والقناعة » .

بعد النبي ﷺ حتى توفي [(١) . « متفق عليه » .

« يرزأ » براء ثم زأى ثم همرة : أى لم يأخذ من أحد شيئاً ، وأصل الرزء :
النقصان : أى لم ينقص أحد شيئاً بالأخذ منه . و « إشراف النفس » تطلعها
وطمئعها بالشيء . و « سخاوة النفس » : هى عدم الإشراف إلى الشيء ،
والطمع فيه ، والمبالاة به والشره .

وعن أبي بردة عن أبي موسى الأشعرى رضي الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله
ﷺ فى غزوة ونحن ستة نفر ، بيننا بعير نعتقه فنقبت أقدامنا ، ونقبت قدمي ،
وسقطت أظفاري ، فكنا نلف على أرجلنا من الخرق ، فسميت غزوة ذات
الرقاع لما كنا نعصب على أرجلنا من الخرق ، قال أبو بردة : فحدث أبو موسى
بهذا الحديث ، ثم كره ذلك وقال : ما كنت أصنع بأن أذكره ! « قال » :
كأنه كره أن يكون شيئاً من عمله أفشاه [(٢) . « متفق عليه » .

وعن عمرو بن تغلب - بفتح التاء المثناة فوق ، وإسكان الغين المعجمة ،
وكسر اللام - رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى بمال أو سبي ، فقسمه فأعطى
رجالاً وترك رجالاً ، فبلغه أن الذين ترك عتبوا ؛ فحمد الله ثم أثنى عليه ثم
قال : [أما بعد ، فوالله إني لأعطي الرجل وأدع الرجل ، والذي أدع أحبُّ
إلي من الذي أعطى ، ولكني إنما أعطى أقواماً لما أرى فى قلوبهم من الجزع
والهلع ، وأكل أقواماً إلى ما جعل الله فى قلوبهم من الغنى والخير ، منهم

(١) الحديث أخرجه البخارى فى الوصايا والزكاة « باب الاستغفار عن المسألة » والرقاق والخمس ،
ومسلم فى الزكاة « باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى » .

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى المغازى « باب غزوة ذات الرقاع » ومسلم فى كتاب الجهاد والسير
« باب غزوة ذات الرقاع » .

عمرو بن تغلب [قال عمرو بن تغلب : فوالله ما أحبُّ أن لي بكلمة رسول الله ﷺ حمر النعم !] ^(١) . « رواه البخارى » .

وعن حكيم بن حرام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال : [اليد العليا خيرٌ من اليد السفلى وأبدأ بمن تعمل ، وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى ، ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله] ^(٢) . « متفق عليه ، وهذا لفظ البخارى ، ولفظ مسلم أخصر » .

وعن أبى عبد الرحمن بن معاوية بن أبى سفيان صخر بن حرب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : [لا تُلحفوا فى المسألة ، فوالله لا يسألنى أحدٌ منكم شيئاً فتخرج له مسألتُهُ منى شيئاً وأنا له كارهٌ ، فيبارك له فيما أعطيته] ^(٣) . « رواه مسلم » .

وعن أبى عبد الرحمن عوف بن مالك الأشجعى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : كنا عند رسول الله ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال : [ألا تبايعون رسول الله ﷺ ؟] وكنا حديث عهد ببيعة ، فقلنا : قد بايعناك يا رسول الله . ثم قال : [ألا تبايعون رسول الله ؟] فبسطنا أيدينا وقلنا : قد بايعناك يا رسول الله ، فعلام نبايعك ؟ قال : [أن تعبدون الله ، ولا تشركوا به شيئاً ، والصلوات الخمس وتطيعوا الله] ، وأسر كلمة خفيفة : [ولا تسألوا الناس شيئاً] ، فلقد رأيت

(١) الحديث أخرجه البخارى فى الجمعة « باب من قال فى الخطبة بعد الثناء : أما بعد » وفى الجهاد والتوحيد وغيرهما .

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى الزكاة « باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى » ومسلم فى الزكاة « باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى » .

(٣) الحديث رواه مسلم فى كتاب الزكاة « باب النهى عن المسألة » .

بعض أولئك النفير يسقط سواط أحدهم ، فما يسأل أحداً يناوله إياه ^(١) .
 « رواه مسلم » .

وعن ابن عمر رضی الله عنهما أن النبي ﷺ قال : [لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقي الله تعالى وليس في وجهه مُزعة لحم] ^(٢) . « متفق عليه » .

وعنه أن رسول الله ﷺ قال وهو على المنبر وذكر الصدقة والتعفف عن المسألة : [اليد العليا خير من اليد السفلى ، واليد العليا هي المنفقة ، والسفلى هي السائلة] ^(٣) . « متفق عليه » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [من سأل الناس تكثراً فإنما يسأل جمراً ، فليستقل أو ليستكثر] ^(٤) . « رواه مسلم » .

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [إن المسألة كدٌّ ، يكُدُّ بها الرجل وجهه ، إلا أن يسأل الرجل سلطاناً أو في أمرٍ لابد منه] ^(٥) .
 « رواه الترمذی وقال : حديث حسن صحيح » .

« الكدُّ » : الخدش ونحوه .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ [من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تُسد فاقته ، ومن أنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل

(١) الحديث رواه مسلم في الزكاة « باب كراهة المسألة للناس » .

(٢) الحديث رواه البخاري في كتاب الزكاة « باب من سأل الناس تكثراً » ومسلم في كتاب الزكاة « باب كراهة المسألة للناس » .

(٣) الحديث رواه البخاري في الزكاة « باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى » ومسلم في الزكاة « باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى » .

(٤) الحديث رواه مسلم في الزكاة « باب كراهة المسألة للناس » .

(٥) الحديث رواه الترمذی في الزكاة « باب ما جاء في النهي عن المسألة » رقم ٦٨١ .

أو آجل [(١) . « رواه أبو داود والترمذى وقال : حديث حسن » .
« يوشك » : بكسر الشين : أى يسرع .

وعن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [من تكفل لى ألا يسأل
الناس شيئاً وأتكفل له الجنة ؟] فقلت : أنا ، فكان لا يسأل أحداً شيئاً [(٢) .
« رواه أبو داود بإسناد صحيح » .

وعن أبى بشر قبيصة بن المخارق رضي الله عنه قال : تحملت حمالة فأتيت رسول
الله ﷺ أسأل فيها فقال : [أقم حتى تأتينا الصدقة فنامر لك بها] ، ثم
قال : [يا قبيصة ، إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة : رجل تحمل حمالة ،
فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك ، ورجل أصابته جائحة اجتاحت
ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش ، أو قال : سداداً من
عيش - ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوى الحجى من قومه : لقد
أصاب فلاناً فاقة ، فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش - أو
قال : سداداً من عيش - فما سواه من المسألة ، يا قبيصة ، سحت يأكلها
صاحبها سحتاً] (٣) . « رواه مسلم » .

« الحَمَالَةُ » بفتح الحاء : أن يقع قتال ونحوه بين فريقين فيصلح إنسان
بينهم على مال ، يتحمله ويلتزمه على نفسه . و « الجائحة » : الآفة تصيب
مال الإنسان . و « القَوَامُ » بكسر القاف وفتحها : هو ما يقوم به أمر الإنسان
من مال ونحوه . و « السداد » بكسر السين : ما يسد حاجة المعوز ويكفيه .

(١) الحديث أخرجه الترمذى فى كتاب الزهد « باب ما جاء فى الهم فى الدنيا » رقم ٢٣٢٧ وأبو داود
فى كتاب الزكاة « باب الاستغفار » .

(٢) الحديث رواه أبو داود فى كتاب الزكاة « باب كراهية المسألة » .

(٣) الحديث رواه مسلم فى الزكاة « باب من تحل له المسألة » .

و«الفاقة» الفقر . و«الحجى» العقل .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : [ليس المسكين الذى يطوف على الناس ، ترده اللقمة واللقمتان ، والتمرّة والتّمرتان ، ولكن المسكين الذى لا يجد غنى يُغنيه ، ولا يفطن له فيتصدق عليه ، ولا يقوم فيسأل الناس] ^(١) . « متفق عليه » .

توضيح هام :

قد يمتحن المؤمنون بضيق العيش ويكون تكفيراً لذنوبهم ولرفع درجاتهم ، فلا بد من الصبر والعمل بمعانى الإيمان ، قال الربيع بن خيثم : إن الله تعالى قضى على نفسه أن من توكل عليه كفاه ، ومن آمن به هداه ، ومن أقرضه جازاه ، ومن وثق به نجاه ، ومن دعاه أجاب له ، وتصدق ذلك فى كتاب الله ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ﴾ ^(٢) ، ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ ^(٣) ، ﴿ إِنْ تَقْرَضُوا لِلَّهِ قَرْضًا حَسَنًا يَضَاعَفْهُ لَكُمْ ﴾ ^(٤) ، ﴿ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ^(٥) ، ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ ^(٦) .

وما مر بنا من زهد رسول الله ﷺ والصحابة من بعده ، هو أفضل الأحوال وأكملها ، وليس الزهد بتحريم الحلال ولا بإضاعة المال كما قال أبو حازم ،

(١) الحديث رواه البخارى فى الزكاة « باب لا يسألون الناس إلحافاً » وفى التفسير ، ومسلم فى الزكاة « باب المسكين الذى لا يجد غنى ... » .

(٢) سورة التغابن الآية « ١١ » .

(٣) سورة الطلاق الآية « ٣ » .

(٤) سورة التغابن الآية « ١٧ » .

(٥) سورة آل عمران الآية « ١٠١ » .

(٦) سورة البقرة الآية « ١٨٥ » .

وقد يمتلك الإنسان مالاً ويكون زاهداً كما قال الإمام أحمد ، قال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ ^(١) ، ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ ^(٢) ، ومتاع الغرور الذى ورد ذمه هو ما ألهى صاحبه عن طلب الآخرة ، وإلا فما لم يهلك فهو متاع بلاغ إلى ما هو أبلغ منه ، وكان البعض يقول : نعمت الدار الدنيا كانت للمؤمن وذلك أنه عملاً قليلاً وأخذ زاده منها للجنة ، وبئست الدار كان للكافر والمنافق وذلك أنه ضيع لئاليه وكان زاده منها إلى النار ، وقال آخر : كيف لا أحب دنيا قدر لى فيها قوت اكتسب به حياة أدراك بها طاعة أنال بها الجنة ، فهيا بنا نعمل عمل رجل لا ينجيه إلا عمله ونتوكل توكل رجل لا يصيبه إلا ما كتب له ، ونعمر الدنيا بطاعة الله ، ونحذر مما حذرنا منه سبحانه ، ونجاهد أنفسنا فى اللحاق بمثل ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام لتحقيق غنى النفس وسعادة الدارين .

(١) سورة الأعراف الآية ٣٢ .

(٢) سورة الأعراف الآية ٣١ .

الخاتمة

﴿كل مبتلى فاستقم كما أمرت﴾

ابتلاء الله لعبده المؤمن رحمة منه له وإحسان إليه ، وما يصيب المؤمن دون ما يصيب الكافر ، فالكل مبتلى ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ (٧) ، والإبتلاءات متنوعة وصورها متعددة ، والناس يتفاوتون في ذلك تبعاً لإيمانهم ، فأشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل (٢) ، ويبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان به صلابه زيد له في البلاء (٣) ، وما يصيب المؤمن مقرون بالصبر والرضا والاحتساب ، وذلك يخفف عنه ثقل البلاء ومؤنته ، بعكس الكافر فإن صبر فكصبر البهائم ، والعاقبة للمتقين ، وقد اقتضت حكمة أحكم الحاكمين أن يكون البلاء أمراً لازماً ، فلو تجرد الخير في هذا العالم عن الشر كما يقول ابن القيم : والنفع عن الضر ، واللذة عن الألم ، لكان ذلك عالماً غير هذا ، ونشأة أخرى غير هذه النشأة ، وكانت تفوت الحكمة التي مزيج لأجلها بين الخير والشر والألم واللذة والنافع والضار ، إنما يكون تخليص هذا من هذا ، وتمييزه في دار أخرى غير هذه الدار ، كما قال تعالى : ﴿ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٣٧) (٤) .

(١) سورة الكهف الآية ٧ .

(٢) صحيح الجامع ٩٩٢ .

(٣) صحيح الجامع ٩٩٤ .

(٤) سورة الأنفال الآية ٣٧ .

ومن حكم الإبتلاء استخراج عبوديتهم وذلهم لله ، وانكسارهم له ، وافتقارهم إليه وسؤاله سبحانه ، كما أنه يحب من عباده تكميل عبوديتهم على السراء والضراء ، وفي حالة العافية والبلاء ، ولا يستقيم القلب بدون ذلك ، ثم هذا الابتلاء يمحصهم ويخلصهم ويهذبهم ، فلا يظن ظان أن دخول الجنة يكون بغير جهاد ولا صبر ، قال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْزِئِينَ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (١) ، ولا بد من امتحان المؤمن والكافر ، فأما المؤمن الصادق فيزداد بالابتلاء والإمتحان إيماناً على إيمانه ، وهذا لا يجعله يتمنى البلاء ، بل هو يسأل الله العافية ، قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ (٢) ، فلا بد من حصول الألم والحنة لكل نفس آمنت أو كفرت ، لكن المؤمن يحصل له الألم في الدنيا ابتلاءً ، ثم تكون له عاقبة الدنيا والآخرة ، والكافر والمنافق والفاجر ، تحصل له اللذة والنعيم ابتداءً ثم يصير إلى الألم ، فلا يطمع أحد أن يخلص من المحنة والألم البتة .

وإذا كان الابتلاء واقعاً وحاصلاً ، فلا بد من الإيمان في مواجهته والاعتصام بجناب الله فلا ملجأ ولا منجأ من الله إلا إليه ، قال تعالى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ (٣) .

(١) سورة البقرة الآية ٢١٤ .

(٢) سورة الأحزاب الآية ٢٢ .

(٣) سورة الأحزاب الآية ١٧ .

يقول ابن القيم : فأخبر سبحانه أن العبد لا يعصمه أحد من الله ، إن أراد به سوءاً غير الموت الذين فر منه ، فإنه فر من الموت لما كان يسؤوه ، فأخبر الله سبحانه أنه لو أراد به سوءاً غيره لم يعصمه أحد من الله ، وأنه قد يفر مما يسؤوه من القتلى في سبيل الله فيقع فيما يسؤوه مما هو أعظم منه .

وإذا كان هذا في مصيبة النفس ، فالأمر هكذا في مصيبة المال والعرض والبدن فإن من يخل بماله أن ينفقه في سبيل الله تعالى وإعلاء كلمته ، سلبه الله إياه ، أو قبض له إنفاقه فيما لا ينفعه دنيا ولا أخرى ، بل فيما يعود عليه بمضرتة عاجلاً وآجلاً ، وإن حبسه وادخره منعه التمتع به ، ونقله إلى غيره ، فيكون له مهنؤه وعلى مخلفه وزره ، وكذلك من رفّه بدنه وعرضه وأثر راحته على التعب لله وفي سبيله أتعبه الله سبحانه وتعالى أضعاف ذلك في غير سبيله ومرضاته ، وهذا أمر يعرفه الناس بالتجارب .

قال أبو حازم : « لما يلقى الذي لا يتقى الله في معالجة الخلق أعظم مما يلقى الذي يتقى الله من معالجة التقوى » .

واعتبر ذلك بحال إبليس ، فإنه امتنع من السجود لآدم فراراً أن يخضع له ، ويذل ، وطلب إعزاز نفسه ، فصيره الله أذل الأذلين ، وجعله خادماً لأهل الفسوق والفجور من ذريته فلم يرض بالسجود له ، ورضى أن يخدم هو وبنوه فساق ذريته .

وكذلك عبّاد الأصنام ، اتقوا أن يتبعوا رسلاً من البشر ، وأن يعبدوا إلهاً واحداً سبحانه ، ورضوا أن يعبدوا آلهة من الأحجار .

وكذلك كل من امتنع أن يذل لله ، أو يذل ماله في مرضاته ، أو يتعب نفسه وبدنه في طاعته لا بد أن يذل لمن لا يسوى ، ويذل له ماله ، ويتعب

نفسه وبدنه فى طاعته ومرضاته عقوبة له ، كما قال بعض السلف : من امتنع أن يمشى مع أخيه خطوات فى حاجته أمشاه الله تعالى أكثر منها فى غير طاعته . أ . هـ .

فاعتبر أخى المسلم بهذه النصيحة ، واطلب الرزق بعزة النفس ودون التفريط فى طاعة الله ، فكما قيل لك ﴿ فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ (١) ، أيضاً قيل لك ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ (٢) ، وقال سبحانه : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ (٣) ، أى مطيعين منيبين ، واعلم أن الأرزاق مقسومة والأنفاس محسوبة ، وأن المال يؤخذ منك كله وتُسأله عنه كله ، فخذ بالأسباب وتوكل على الحى الذى لا يموت وسبح بحمده ، واحذر أن تكون من انشغل بالدنيا عن الدين ، وقدم نفسك عملاً صالحاً يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

نفعنا الله وإياكم بالقرآن العظيم ، وبهدى سيد المرسلين ، وجعل خير أعمالنا وأواخرها وخير أعمالنا خواتيمها ، وخير أيامنا يوم نلقاه ، إنه سبحانه ولى ذلك والقادر عليه ، وسبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

كتبه

سعيد عبد العظيم

غفر الله له ولوالديه

(١) سورة الملك الآية ١٥ هـ .

(٢) سورة النساء الآية ١٠٢ هـ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢٣٨ هـ .

الفهرس

رقم الصفحة

الموضوع

- المقدمة ٥
- بعض أسباب سعة الرزق ٩
- أولاً : تقوى الله تعالى ٩
- ثانياً : شكر الله تعالى ١١
- ثالثاً : بر الوالدين وصلة الأرحام ١٢
- رابعاً : المتابعة بين الحج والعمرة ١٤
- خامساً : الزواج من أسباب السعة ١٦
- سادساً : الدعاء ١٧
- سابعاً : الانشغال بذكر الله تعالى ٢١
- ثامناً : الاستغفار ٢٣
- تاسعاً : الصدقات الواجبة والمستحبة ٢٣
- عاشراً : الجهاد فى سبيل الله ٢٥
- الحادى عشر : ترك المعاصى لأنها ممحقة للبركات متلفة ٢٥
- للأرزاق ٢٨
- أسباب تعينك على تحقيق غنى النفس ٣٥
- أولاً : مطالعة أحوال سيد الأولين والآخرين ﷺ ٣٦
- ثانياً : مطالعة التراجم والسير للصحابة ومن تابعهم بإحسان ٣٧

- ٤١ - ثالثاً : التوكل على الله
- ٤٣ - رابعاً : الإيمان بالقضاء والقدر
- ٤٤ - خامساً : معانى الإيمان بالله واليوم الآخر
- سادساً : دار ابتلاء والكل فيها مبتلى ، ومن يُرد الله به خيراً
- ٤٦ يصيب منه .
- ٤٧ - سابعاً : تدبر آيات الله
- ٤٩ - ثامناً : النظر لمن هو دونك فى الدنيا يحقق لك غنى النفس .
- ٥١ - تاسعاً : ما خاب من استخار واستبشر الخير فى أخرج اللحظات .
- ٥٣ • فضل الزهد فى الدنيا والحث على التقلل منها
- ٦٤ • فضل الجوع وخشونة العيش
- ٧٩ • القناعة والعفاف والاقتصاد فى المعيشة
- ٨٧ • الخاتمة : الكل مبتلى فاستقم كما أمرت